جامعة قاصدي مرباح بور قلة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم : الفلسفة
تخصص تاريخ الفلسفة

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في الفلسفة

شعبة: الفلسفة

تخصص: تاريخ الفلسفة

العنوان :

الأخلاق الاجتماعية عند إيميل دوركايم

إعداد الطالبتين:

- ✓ بوقفة مفيدة
- ✓ ذوادي سامية

اشراف الأستاذ :

كراش ابراهيم

تاريخ المناقشة: 2017/05/17

أمام لجنة المناقشة :

أ. طاهير رياض .....رئيسا
أ. كراش ابراهيم .....مشرفاومقررا
أ. بن قويدر عاشور .....مناقشا

السنة الجامعية : 2017/2016

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى قرة عيني وبهجة قلبي والشمعة التي طالما إحترقت لتنير دربي إلى الحبيبة الغالية فيض الأماني ونبع الحنان أمي الغالية حفظها الله.

إلى أعز من أنتسب إليه سندي ودعمي في الحياة مثال الوفاء ورمز العطاء أبي حفظه الله.

إلى إخوتي وأخوتي : عبد الفتاح،جمال الدين،محمدالبشير، زياد ، هيثم، محمدأدم، عفيفة ،جمانة.

إلى صديقاتي: رندة ، ليلى، نجلاء ،أمال، ،سامية،سارة.

وإلى جميع رفيقاتي في الحياة الدراسية والجامعية .

مفيدة

إهداء

أهدي ثمرة جهدي المتواضع إلى رمز العطاء والأبوة.

" أبي"

إلى من ظلت دعواتها رفيقتي .

" أمي"

إلى جدتي أطال الله في عمرها.

إلى أخواتي نجاة، مريم، سمية، إيمان.

إلى أخوتي سمير، حمزة، سليمان،هشام.

إلى الكتكوت الصغير مبروك.

إلى

إلى كل العائلة الكريمة.

إلى كل زميلاتي ورفيقاتي في الحياة الدراسية و الجامعية .

سامية

شكر و تقدير

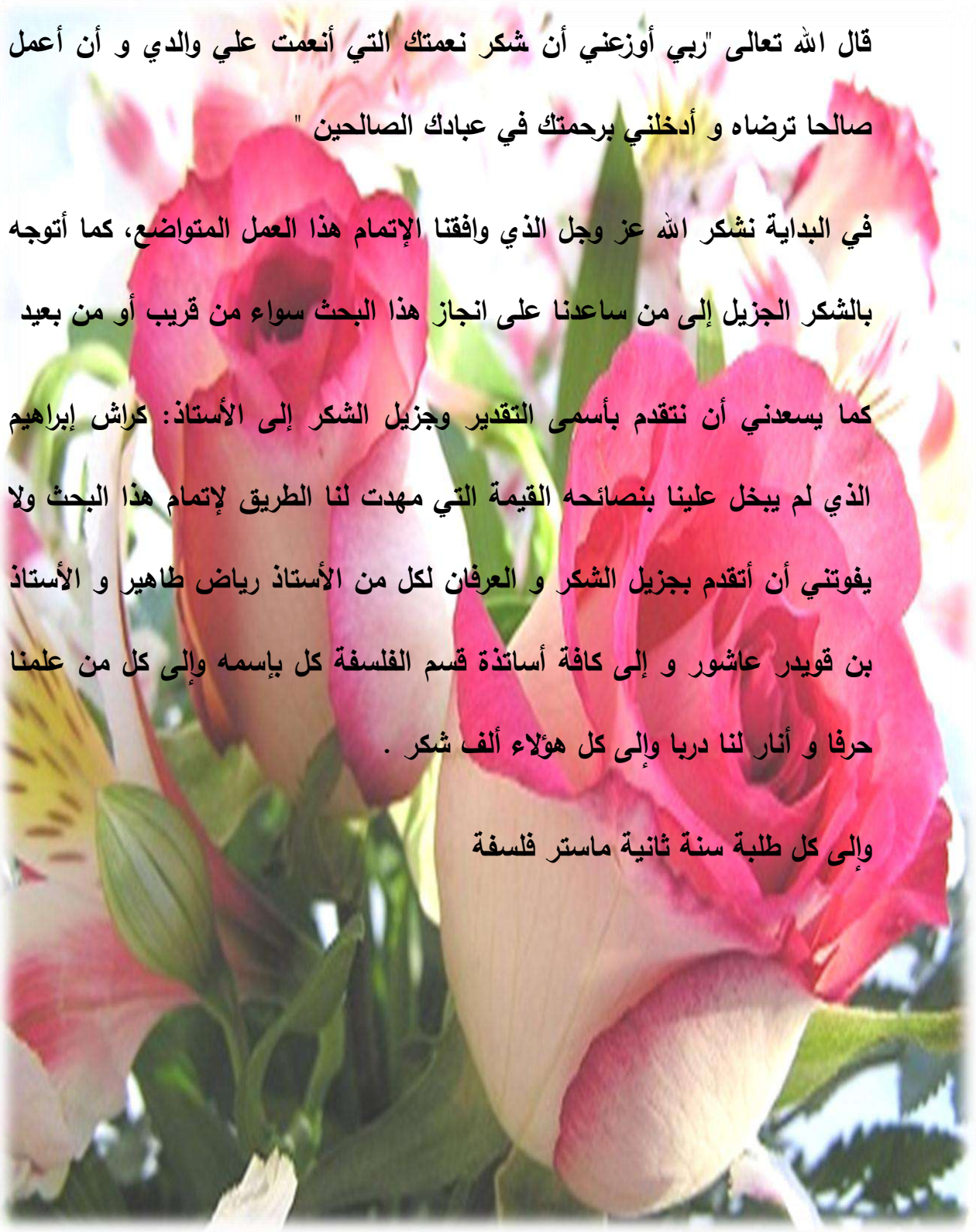

قال الله تعالى "ربي أوزعني أن شكر نعمتك التي أنعمت علي والدي و أن أعمل صالحا ترضاه و أدخلني برحمتك في عبادك الصالحين "

في البداية نشكر الله عز وجل الذي وافقنا الإتمام هذا العمل المتواضع، كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى من ساعدنا على انجاز هذا البحث سواء من قريب أو من بعيد

كما يسعدني أن نتقدم بأسمى التقدير وجزيل الشكر إلى الأستاذ: كراش إبراهيم الذي لم يبخل علينا بنصائحه القيمة التي مهدت لنا الطريق لإتمام هذا البحث ولا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر و العرفان لكل من الأستاذ رياض طاهير و الأستاذ بن قويدر عاشور و إلى كافة أساتذة قسم الفلسفة كل بإسمه وإلى كل من علمنا حرفا و أنار لنا دربا وإلى كل هؤلاء ألف شكر .

وإلى كل طلبة سنة ثانية ماستر فلسفة

الفهرس

المحتوي	الصفحة
الإهداء.....	
شكر وتقدير	
مـقدمــة	ا،ب،ج
الفصل الأول : الأخلاق المفهوم والتاريخ	
المبحث الأول:ضبط مفاهيمي	14-06
المبحث الثاني : تاريخية الأخلاق	15
أولا:الأخلاق في العصر اليوناني (أبيقور، الرواقيون، أرسطو).....	19-15
.ثانيا:الأخلاق في العصر الوسيط (القديس أوغسطين نموذجا).....	22-20
ثالثا:الأخلاق في العصر الحديث (دافيد هيوم نموذجا).....	23-22
الفصل الثاني : موقف إميل دوركايم من الأخلاق الإجتماعية	
المبحث الأول:عناصر الحياة الأخلاقية في المجتمع	**25**
أولا:روح النظام.....	31-25
ثانيا:التعلق بالجماعة.....	37-31
ثالثا : استقلال الإرادة.....	41-37
المبحث الثاني:الأساس السوسيولوجي للأخلاق عنده	41
أولا:الضمير الجمعي	41-49
ثانيا:التنشئة الأخلاقية	49-54
ثالثا : الواجب والإلزام الخلقي.....	55-61
المبحث الثالث:مقاربة نقدية.....	61-65

خاتمة.....	67
قائمة المصادر و المراجع.....	68-72
ملخص الدراسة	

مقدمة

مقدمة:

يجري الحديث في هذا البحث حول إشكالية الأخلاق ، وهي من الإشكاليات ذات الإرتباط الجوهري بالفكر الفلسفي في بعديه النظري والعملي على حد سواء ،بل أصبحت اليوم كما هو واضح من العودة الجديدة لمبحث " الإتيقا " من الموضوعات ذات الأهمية على الصعيد الفلسفي ، مما يمنحها بعد كونيا يساهم في إثرائه كل مشتغل بالفلسفة فنجد من بين الباحثين الأوروبيين المهتمين بالمسألة الأخلاقية الفيلسوف الوضعي إميل دوركايم الذي يمثل نقطة تحول هامة في تاريخ التفكير الاجتماعي ونظرية علم الاجتماع.

لقد تجنب كثيرا من المشكلات التي أثارها علماء الاجتماع التطوريون في القرن التاسع عشر، وجعل اهتمامه منصبا على تحديد موضوع علم الإجتماع ، ولقد برزت نزعته الوظيفية بشكل واضح من خلال كتاباته حول تقسيم العمل وماله من علاقة متينة بظاهرة التضامن الإجتماعي والشعور الجمعي ، وبالتالي يعد الأب الروحي للمدرسة الوظيفية في علم الإجتماع من خلال إطلاقه صفة العضوية على التضامن الإجتماعي في المجتمعات الحديثة .

ومن خلال هذا الطرح يمكننا أن نصوغ الإشكالية التالية :

كيف نظر إميل دوركايم إلى الأخلاق الإجتماعية؟

وتتفرع هذه الإشكالية على مجموعة من التساؤلات التي سوف نحاول الإجابة عنها وهي

كالأتي:

ماهومفهوم الأخلاق؟

هل الأخلاق عن إميل دوركايم مكتسبة أم فطرية ؟أو بطرح أخر هل الأخلاق نسبية أم مطلقة عند إميل دوركايم ؟

ولمحاولة الإجابة عن الإشكالية و التساؤلات المطروحة خصصنا لذلك فصلين :إشتمل الفصل الأول و الموسوم بالأخلاق المفهوم و التاريخ ، على مبحثين تضمن المبحث الأول ضبط مفاهيمي و المبحث الثاني تتبعنا فيه نشأة الأخلاق ومراحلهاعبر العصور، أما الفصل الثاني و المعنون بموقف إميل دوركايم من الأخلاق الإجتماعية والذي قسمناه إلى ثلاثة مباحث تناولنا في المبحث الأول عناصر الحياة الأخلاقية في المجتمع ،والذي تضمن ثلاثة عناصر وهي روح النظام و التعلق بالجماعة وإستقلال الإرادة ،أما المبحث الثاني تناولنا فيه الأساس السوسيولوجي للأخلاق عنده فتضمن أربعة عناصر وهما الضمير الجمعي والتنشئة الأخلاقية والواجب والإلزام الخلقي أماالمبحث الثالث فقد عرضنا مقاربة نقدية لأهم أراء إميل دوركايم ،لننتهي في الأخير إلى خاتمة تتضمن جملة من النتائج .

ولقد إعتمدنا كذلك في دراستنا هذه على مجموعة من المناهج :

المنهج التاريخي : الذي حاولنا من خلاله تقصي الحقائق التاريخية وتطورها زمانيا وأهم روادها ، في حين إعتمدنا في خطوة ثانية على المنهج التحليلي النقدي : بغرض تحليل أهم

أفكار إميل دوركايم الأخلاقية ،وتفسيره لمشروعه الأخلاقي وكذا تحليل نصوصه الأخلاقية،ومن جهة أخرى محاولة نقده نقدا شخصيا أومن طرف الفلاسفة الذين عقبوا على المشكلة الأخلاقية.

ولقد كان وراء إختيارنا لهذا الموضوع الأخلاق الإجتماعية عند إميل دوركايم مجموعة من الدوافع أهمها : رغبتنا و ميلنا لتعرف على الأخلاق ودراسة أهم أراء الفلاسفة حول الأخلاق،أما عن الأسباب الموضوعية فهي التعرف على شخصية إميل دوركايم، ولفت إنتباه الدارسين حول الموضوع .

أما عن أهداف الدراسة فتتمثل في :

فتح المجال أكثر للبحث في هذا الموضوع .

إظهار مدى أهمية الفكر الفلسفي لدى إميل دوركايم .

تسليط الضوء على موقفه من الأخلاق الإجتماعية .

أما الصعوبات التي واجهتنا في هذه الدراسة فتتمثل في ضيق الوقت وإقتصارالبحث على الإعتماد على مصدرين فضلا عن تشابه الكم المعرفي في العديد من المراجع.

الفصل الأول

الأخلاق المفهوم والتاريخ

الفصل الأول: الأخلاق المفهوم و التاريخ

المبحث الأول: ضبط مفاهيمي

المبحث الثاني: تاريخية الأخلاق

أولا:الأخلاق في العصر اليوناني (أبيقور،الرواقيون،أرسطو)

ثانيا:الأخلاق في العصر الوسيط (القديس أوغسطين نموذجا)

ثالثا:الأخلاق في العصر الحديث (دافيد هيوم نموذجا)

الفصل الأول: الأخلاق المفهوم والتاريخ

أخذت الأخلاق منذ القرن الثامن عشر تميل إلى أن ينظر إليها من المنظور الاجتماعي، فقد اعترض علماء الاجتماع على تلك الأخلاق الصورية وخرجوا على ميتافيزيقا كانت للواجب المطلق، وقرروا أن كل فرد منا يتلقى ضميره الأخلاقي من الوسط الاجتماعي ،الذي يولد ويعيش فيه وذلك بما يشمله من عادات و تقاليد وعقائد وحكم وهي ما تعرف بالثقافة والتثقيف المنظم.

المبحث الأول: ضبط مفاهيمي

تكتسب المفاهيم الفلسفية خصوصية تميزها عن باقي المفاهيم، وتختلف هذه الخصوصية باختلاف الموضوع والمذهب الفلسفي المدروس و هو ما يدفعنا في دراستنا هذه إلى عرض المفاهيم المحورية الآتية:

مفهوم القيمة:

و هي ما يتمثل من حق وخير و جمال، وتكون صفة عينة كامنة في طبيعة الأقوال أي في جوهرها ،في المعرفة و في الأخلاق و الأقوال مما يظهر في الفنون ومادامت كامنة في طبيعتها فهي ثابتة لا تتغير بتغير الظروف والملابسات ، وبهذا المعنى تطلب لذاتها أي

أن قيمة أي شيء تظهر في ذاته وجوهره والقيم ضربان ذاتية تخص الشيء ذاته ،وتكون صفات كامنة فيه و غير ذاتية خارجة عن طبيعته ولا تدخل في ماهيته[1].

مفهوم الأخلاق:

كلمة الأخلاق لغة جمع "خلق " وتعني العادة وفي ذلك يقول إبن منظور في "لسان العرب" :"إشتقاق خليق وما أخلقه من الخلاقة وهو التمرين من ذلك نقول للذي ألف شيئا : صار له ذلك خلقا أي مرن عليه ، ومن ذلك الخلق الحسن ".

أما التعريف الإصطلاحي للأخلاق، فإننا نجد العديد من التعريفات يصعب حصرها تبدأ من المعنى اللغوي إلى معاني موغلة في التجريد ، فقد عرفه بعض الباحثين بأنه "علم العادات" وواضح أن هذا التعريف يستلهم المعنى اللغوي لكلمة الأخلاق ، ولو حللنا هذا التعريف لاكتشفنا أنه غير دقيق ذلك لأن العادات ماهي إلا أنماط من السلوك الإرادي ترسخت من كثرة إتيانها وتكرراها، حتى أصبحت عادة يقوم بها المرء دون جهد يذكر وتلغي تقريبا دور الإرادة في الفعل ،وبذلك يفقد الفعل كل ماله من قيمة أخلاقية لأن قيمة الفعل الأخلاقي ،تكمن في إخضاعه إراديا لمجموعة من القواعد أو المبادئ و الحكم عليها في ضوء مقاييس معينة للخير.[2]

[1] إبراهيم مذكور،**المعجم الفلسفي** ، (د ط ، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية،1983) ص152

[2] محمد مهران رشوان ، **تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية** ،(دط، القاهرة ، دار قباء ، 1998) ص20

وهناك من يعرف الأخلاق بأنها "علم الخير والشر "على أساس أن أهم ما يستفاد منه هو تحديد معنى كل من الخير والشر والتفرقة بينهما .

وثمة تعريف أخر للأخلاق ،بأنها القواعد التي ينبغي أن يسير عليها الإنسان لبلوغ كامل إنسانيته في ضوء مثل أعلى يصبو إليه، ومعنى ذلك أن علم الأخلاق علم معياري لا بالفعل بل هو علم يضع ما ينبغي أن يكون. [1]

وبالإضافة إلى هذه التعاريف نجد تعاريف شاملة وعامة الأخلاق تتمثل في أنها:

هي مجموعة الأحكام والسلوكيات المسلم بها في محيط و عصر معين.[2] و الأخلاق الصورية هي التي تعنى بوضع قوانين كلية شاملة لا بوضع قوانين مطابقة للغايات والدوافع المستمدة من التجربة، فهي القول بوجود استقلال القانون الأخلاقي عن كل ما ترغب النفس فيه ، بحيث تكون قيمة الفعل ذاته تابعة لصورته (أي لنية الفاعل)لا مادته وهو ما يعبر عنه الواجب من أجل الواجب.[3] ويقترن هذا بمصطلح في أدبيات الكتابات الفلسفية الأخلاقية بمصطلح الأخلاقية (Ethique) أو أخلاق نظرية الذي يعود في اشتقاقه اللغوي إلى الكلمة اليونانية (Leathe) التي تعني العادات الأخلاقية ،أما الأصل اللغوي لكلمة أخلاق

[1] محمد مهران رشوان، المرجع السابق ،ص21

[2] أندريه لالاند ، **الموسوعة الفلسفية** ، ت ر: خليل أحمد خليل، (ط2 ، باريس،منشورات عويدات ، 2001) ج1، ص823

[3] جميل صليبا، **المعجم الفلسفي** ، (د ط ، لبنان،دار الكتاب اللبناني، 1982) ص ص 746 .747

(Morale)[1] يعود إلى اللغة اللاتينية (Moralis)التي تعني أعراف والكلمتان مع أنهما يتسمان بدلالات متقاربة إلا أن هناك تمايز بينهما ،حيث تتسم éthique بالسمة النظرية وتتجه نحو التفكير في أسس الأخلاق ،أي أنها تبحث في قواعد السلوك من حيث إيجاد تصورات عامة نحو الخير والشر أماmorale فهي عبارة عن جملة الأوامر و النواهي المقررة عند مجتمع مخصوص، وفي فترة مخصوصة في حين تكون ethique عبارة عن العلم الذي ينظر في أحكام القيمة التي تتعلق بالأفعال أما تحسينا أو تقبيحا ،بمعنى أن morale ،إنما هي المعنى ذاته التي تختص ethique بالنظر فيه إذ يمكن في العديد من الحالات أن تستعمل الواحدة بدل الأخرى فالأخلاق والأخلاقية تشكل كل منهما القواعد الكلية للأفعال.[2] كذلك هناك أخلاق وصفية وأخلاق عرفية وتقارن بينها بينما الأخلاق العرفية هي التي تحدد ما ساد في المجتمعات من سلوكيات فتجعلها عرف ومن ثمة إلى أخلاق وهناك من ينتقل انتقالا مباشر من وصفية إلى نتائج خاصة بالعرف.[3]

مفهوم الأخلاق عند أوغست كونت:

رفض أوغست كونت إعتبار الأخلاق كعلم معياري، يبحث فيما يجب أن يكون عليه الفعل ،إذ أن تعريف الأخلاق لذاتها بواسطة بناء مفاهيمي يفصلها عن الحياة السيكولوجية وعن الأحداث التاريخية من إفرازات فلسفة تعد أكثر تجريد وأكثر إرتباط

[1] سمير بلكفيف وأخرون،**الفلسفة الأخلاقية من سؤال المعنى إلى مأزق الإجراء**،(ط 1 ، الرباط ،دار الأمان، 2013) ص 16

[2] سمير بلكفيف وأخرون، المرجع نفسه ، ص17

[3] زكي نجيب محمود، **الموسوعة الفلسفية المختصرة** ،د ط (لبنان، دار القلم، (د س)) ص ص20 . 21

بالمطلق والتي كانت تفتقر منذ مدة طويلة إلى الملاحظة إن هذه التعريفات حكم عليها بلإستئناف بواسطة تطور علوم الأخلاق.[1]

إن هذا الرفض يدخل في إطار رفض كونت للمذاهب الفلسفية و الأخلاقية الميتافزيقية، بإعتبار أنه لا يمكن منهجيا التحقق من صحة أحكامها بواسطة الملاحظة والتجريب ،ومن هنا فإن كونت وتحت نزعته الوضعية يرى أن الطريقة الخاصة التي تضمن الفهم الفلسفي للأخلاق ، هي التي ترتكز في تعريف الأخلاق وهي في علاقاتها العامة بالحياة التي أنشأتها و أعادة رسم مكوناتها في المجتمع وفي الضمير الفردي (.....) وفي النهاية متابعة تقدم النظام الأخلاقي (.....) هذه هي الخطة لفلسفة أخلاقية تعي معطيات علم النفس وعلم الإجتماع والتاريخ .[2]

وبتحديد هذه الطريقة يعتقد كونت بأن تطبيقها يؤدي إلى تحديد مفهوم الأخلاق "على أن الأخلاق ليست شيئا وإنما هي تصور لشعور ،إنها تفتح للعواطف والإتجاهات والمعتقدات الأحكام التي تؤلف مضمون الحياة الإجتماعية والحياة النفسية، إن هذه التصورات التي تكون كل تعريف للأخلاق أملتها عليه معطيات الدراسة الوضعية للإنسانية ،إذ يعلن في مقدمة المجلد الثاني "مذهب في السياسة الوضعية " وتحت عنوان ستاتيك وديناميك بأن الدراسة الوضعية للإنسانية يجب تقسيمها إلى قسمين رئيسيين:

[1] الطاهر مولف ،**العقل الوضعي عند أوغست كونت** ،(جامعة منتوري قسنطينة، 2008 ، غيرمنشورة) ص 140

[2] المرجع نفسه ،ص 141

الواحد الستاتيكا والذي يختص بالطبيعة الأساسية للعضوية والأخر ،الديناميكا والذي يختص بتطورها الضروري.[1]

ومن هذا المنظور الوضعي ،يعلن كونت في مقدمة هذا الكتاب عن تطور علم الأخلاق ، وفي نفس الوقت يبرر موقفه هذا بإعتبار "أن الستاتيكا الإجتماعية تدرس النشاطات العامة في كل الامكنة وفي كل الأزمنة للوجود بمعناه الوضعي ، على أن البناء المعتبر في حركته الأكثر عموما ،وفي ظل هذه الدارسة يعرف كونت "علم الأخلاق" بأن الوجود الأخلاقي ماهو إلا البناء البيولوجي والعقلي للإنسان والمنظور إليه في تجلياته الأكثر عموما وفي ظل التحديدات فالأخلاق أو العلم الإنساني الفردي تجد نفسها متموقعة في السلم الموسوعي، وفي هذا المستوى يمكن تعريف الأخلاق على "أنها تنظم طاعة العقل للقلب وفي ظل هذه التعريفات يمكن إعتبار الأخلاق في جملة على أنها أنثروبولوجيا أو فلسفة الوجود الإنساني.[2]

[1] الطاهر مولف، المرجع السابق،ص142

[2] المرجع نفسه ، ص 143

مفهوم الأخلاق عند إميل دوركايم:

إن الأخلاق عند إميل دوركايم*، هي عبارة عن مجموعة من القواعد العملية التي تحدد سلوكنا وتعين لنا كيف يجب أن نفعل في الحالات المختلفة ،التي تعرض لنا فلكي تضمن لتصرفاتك السداد يجب أن تعرف كيف تطيع.[1]

ونستطيع القول أن الأخلاق ،مجموعة من القواعد التي تحدد السلوك الإنساني وتنظمه ، فهي التي تبين لنا كيف يجب أن نتصرف في الحالات والمواقف التي تعرض لنا دون أن نخالف في ذلك ضميرنا أو العرف السائد في مجتمعنا.[2]

*- إميل دوركايم (1858.1917)فيلسوف فرنسي ولد في مدينة إينبينال بمقاطعة اللورين من أسرة يهودية بعد إستكمال دراسته بمدرسة المعلمين العليا في باريس سنة 1882 سافر إلى ألمانيا حيث درس الإقتصاد والفلكلور والأنثروبولوجية الثقافية عين بجامعة بوردو في فرنسا سنة1887 حيث أخذ كرسيا في علم الإجتماع ثم بعد ذلك عين بجامعة باريس 1902 حيث أصبح أستاذ بها في علم الإجتماع أر دوركايم تلمذته على يد كومت وأخذ عنه تأكيد ه الوضعي للإتجاه الأمبريقي وأهمية الجماعة في تحديد السلوك الإنساني منح منهج الجماعة واقعاإجتماعيا مطلقا بدل من الفرد وقد تصل إلى تصوره وجود العقل الجمعي كحقيقة موضوعية وتتضمن دراسته المونوجرافية الواسعة عن الإنتحار سنة 1951 عرضا لنظريته في القهر الإجتماعي حيث ترتبط إرتباط وثيق بتصوراته عن الضمير الجمعي وكان دوركايم يرى أن الدين نسقا من المعتقدات والممارسات المرتبطة بالمقدسات وأن هذه المعتقدات والممارسات هي التي توحد بين الأفراد وتحقق بينهم نوعا من التكامل الأخلاقي يتحدد في جماعة دينية معينة وبذلك تتحقق المشاركة الجمعية في المعتقدات والتي تعد بدورها عاملا أساسيا في نمو الدين غير أنه يرجع إلى أن الحياة الجمعية هي مصدر الدين وهي تحدد موضوعه ويخلص إلى أن الوظيفة الأساسية للدين تتمثل في تحقيق التظامن الإجتماعي وتدعيمه والمحا فظة عليه من كتبه الهامة (الأشكالية الأولية للحياة الدينية)سنة 1897 ترجم سنة 1951 كذلك مؤلفه (تقسيم العمل في المجتمع) سنة 1893، محمد شهاب ، **رواد علم الإجتماع** ، (دط ، الإسكندارية ، مركز الإسكندارية للإبداع الفني ، (دس)) ص 24

[1] إميل دوركايم، التربية الأخلاقية، تر: السيد محمد بدوي، (ط1، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2015) ص 24

[2] .السيد محمد بدوي ،**الأخلاق بين الفلسفة وعلم الإجتماع** ،(دط، الإسكندارية، دار المعرفة الجامعية، 2000)ص188

وإذا كانت هذه الملاحظة الأولى ،لا تختلف كثيرا عما يقرره العامة فإنها تكفي مع ذلك لإبراز حقيقة نغفل عنها في كثير من الأحيان فالواقع أن معظم الأخلاقيين يقررون أن الأخلاق تنحصر برمتها في صيغة واحدة ، أشد ما تكون عموما ولهذا السبب يقررون دون عناء أن الأخلاق كائنة برمتها في الضمير الفردي.[1]

مفهوم القيمة الأخلاقية:

هي التي تمثل أفعال الناس والظواهر الإجتماعية خيرا أو شرا أخلاقيا ، وقد تكون القيم الأخلاقية موضوع موافقة أو إستنكار ، فالمجتمع يخلق نسقامن المفاهيم الأخلاقية والمثل و المبادئ العليا،لكي يوجه وينظم سلوك الناس وهي أيضا تعتبر قيم أخلاقية والأفكار القيمة تعكس بعض الواقع فهي معرفة بالأشياء ، بالإضافة إلى ذلك فهي توجه نشاط الناس أي أنها ذات طبيعة عملية.[2]

[1] إميل دوركايم، المصدر السابق، ص 25

[2] روزنتال يودين، **الموسوعة الفلسفية**، تر: سمير كرم، (ط7، بيروت، دار الطليعة، 1997) ص ص 381-382

المبحث الثاني: تاريخية الأخلاق

اعتبرت الأخلاق، منذ نشأة الفكر الفلسفي مبحثا أساسيا من مباحث الفلسفة.واهتم الفلاسفة على مر العصور، بتخصيص مكان هام للأخلاق في مذاهبهم الفلسفية،على اعتبار أن الفلسفة تبحث في القيم الثلاثة الأساسية وهي (الحق،الخير، الجمال) ويعتقد الناس حين يتكلمون عن الأخلاق ،أن مفهوم هذه الكلمة لا يثير أي خلاف بين المفكرين ألا يميز كل منا الأخلاقي من غير الأخلاقي ، وإن اختلفت معايير هذا التمييز،ولكن هذا الاختلاف ذاته هو الذي يفصل بين اتجاهين أساسيين في معالجة مسائل الأخلاق ، واتجاه علماء الاجتماع .

أولا: الأخلاق في العصر اليوناني

. أبيقور :

يرى أبيقور* في نظريته الخلقية في مذهب اللذة ،أن اللذة وحدها هي الخير على الدوام وأنها إقصاء الألم وإما أن تكون لذة تبلغ أقصى صورها في الصحة الجسمية الكاملة ،وإما أن تكون عقلية إذا كانت تحرر من الخوف والقلق فهذه الألأم تؤدي بنا إلى الموت ،فالموت ليس شرا و لا خيرا لأن الموت ليس حاضرا معنا ما حيينا فإذا حضر الموت أنهى وجودنا،فاللذة عند أبيقور ، هي مقياس الفعل الأخلاقي وتظهر في الارتياح الجسمي

* أبيقور فيلسوف يوناني ولد في ساموس سنة (341 ق . م وتوفي 271 ق . م). جورج طرابيشي ، **معجم الفلاسفة** ، (ط3 ، بيروت ،دار الطليعة ، 2006) ص 41.

والنفسي للإنسان فهذا الارتياح والصحة خاصة العقلية منها يعتبرها أبيقور هي كل الخير ، و بانعدامها ينشأ الألم والشر كما يرى أبيقور أن الفضيلة ليست خيرا وإنما هي شر وتحصل خيرتها إلى حين أن ينتج لذة عنهاومن هنا ،كانت نظرته حول الأخلاق تتمثل في مذهب اللذة ، أي أن اللذة تعتبر الخير الأسمى وهي غاية الحياة السعيدة وهنا يتأسس تصور أبيقور للسعادة على تصوره للإنسان باعتبار أن الإنسان جسد ونفس وبهذا تكمن سعادته في تحقيق الخير الملائم لطبيعة كليهما ، وبالتالي فالخير الملائم لطبيعة الجسد هو اللذة أما الخير الملائم لطبيعة النفس فهي الطمأنينة .[1]

. الرواقيون:

أما النظرية الأخلاقية عند الرواقيين[2]* ،فتبدأ من بنية الطبيعة الإنسانية لذا فالإنسان أول ما يميل إلى إدراك طبيعته هو والي الاجتهاد في إغنائها والحفاظ عليها،فهذا الميل يتجه نحو القدرات الجسمية ثم إلى نمو القدرات العقلية وهو الفضيلة ، فالفضيلة ليست فقط قيمة عليا ، وإنما هي القيمة الوحيدة وكل ما عداها محايدا وهي الوحيدة التي تتيح السعادة من خلال تشخيصها في الواقع ، فالمذهب الأخلاقي الرواقي جعل القيم الأخلاقية قيم حيوانية ،فالسلوك الفاضل وفهم مسيرة الكون أمران متلازمان ، فالأخلاق الرواقية أخلاق تأملية يطغى عليها الطابع التأملي ،أي أن هذه الأخلاق تقوم على التأمل العقلي ، وما

[1] زكي نجيب محمود، **الموسوعة الفلسفية المختصرة**،(دط، لبنان ، دار القلم، (دس))ص 18

* **الرواقية** : مدرسة فلسفية تعتمد على تعاليم زينون الرواقي (333 ق . م . 264 ق . م) تزعم الرواقية أن التحكم الذاتي و الثبات وعدم الإلتهاء بالعواطف التي تفسر باللامبالاة ، والمتعة والألم تجعل الإنسان مفكرا سليما . محمد أحمد منصور ، **موسوعة أعلام الفلاسفة** ،(ط 1 ، الأردن ،دار أسامة ،2001) ص 236.

يصل إليه عقل الإنسان من استنتاجات بوصفها في مختلف جوانب الحياة هذه الاستنتاجات تعبر عن كل ما هو أخلاقي[1].

فالفيلسوف الرواقي يتطلع إلى الذروة العليا في الأخلاق ، وذلك بإرادته وقوته وسيطرته على حياته العقلية ، و الانفعالية بتجنب كل شر سواء كان ألما أو مرضا أو إثما أو خطيئة، وهذا كله عن طريق إرادته القوية وقدرته على استخدام قواه العقلية. وعموما ، نستنتج أن الأخلاق التي دعى إليها الرواقيون أخلاق نظرية تهدف إلى بلوغ السعادة التي هي الفضيلة وبالتالي يكون العقل هو الطريق المؤدي إليها بحيث يكون العقل خلوا من الهوى و الانفعال.[2]

. أرسطو:

أما أرسطو* فيرى أن العقل العملي هو ما يقوم بالمقابلة بين الوسائل المؤدية إلى غاية ما، يفاضل بينها وحالة في ذلك حال القوة النزوعية ، التي تهدف دائما إلى غاية ما هي غرض العقلي العملي أيضا، والفرق بينهما هو أن العقل يطلب الخير الأصلي بينما القوة النزوعية والخيال كثيرا ما يطلبان الخير الظاهر ، فالأخلاق عند أرسطو تقوم على التعارض بين العقل و الرغبة إذ كل منها يحاول اختيار الأفضل على أساس مدى خيريته

[1] محمد الجبر ،**الفكر الفلسفي والأخلاقي عند اليونان** ، (ط1 ،دمشق ، الخبير لتصميم الطباعي ، 1994) ص ص 43. 44.

[2] عبد الوهاب جعفر ، **فلسفة الأخلاق والقيم**،(دط،الإسكندارية، دار الوفاء ، (دس)) ص169.

* أرسطو طاليس من الفلاسفة اليونان ولد في أسطاغير وهي مدينة صغيرة في شبه الجزيرة الخلقيدية (384 ق . م . 322 ق . م) . جورج طرابيشي ، مرجع سابق ، ص 52.

أما الغايات الكلية حسب أرسطو فهي لا تنطوي على أية قوة نزوعية لأن القوة النزوعية متضمنة الاختيار بينما الغاية الكلية أو الخير المحض لا ينطوي على أي اختيار فمتى أدركناه سعينا في طلبه.[1]

كما يرى أرسطو أنه يستحيل أن تكون السعادة قوة أو استعداد محض ،بل ينبغي أن تكون فعلا أو كما لا يطلب من أجل ذاته وحسب ، وكلما سما هذا الفعل كلما اقترب من السعادة الحقة وأسمى الأفعال متصل بأسمى القوى وهي القوى العقلية لأن موضوعها الخير المحض الذي يطلب لذاته لذا كانت الحياة العقلية أسعد حياة وكانت الحياة العملية إذا أقيست بها،في الرتبة الثانية لأنها بمثابة الوسيلة ، من الغاية أي أن حياة الإنسان الفعلية والواقعية هي وسيلة يرجوا من خلالها بلوغ الخير المحض الذي يدركه العقل قبل أن يعيشه الإنسان بالفعل فالبحث عن الخير الأسمى حسب أرسطو يجب أن ينطلق مما هو بين لدينا لامما هو بين في ذاته ،لأن الثاني أبعد عن مداركنا البشرية لقربه من التجريد فنقطة الانطلاق في المباحث الخلقية ،عند أرسطو إذن هي حياة الفضيلة الفعلية لا المبادئ النظرية المجردة ، فالخير هو ما يطلبه كل شي فهو في ذلك أن هناك غايتان غاية تطلبها الثانية أو تطلب الثانية من أجل بلوغ الغاية الأولى أو القصوى ،التي يطلب من أجلها كل شي.[2]

[1] ماجد فخري ، **أرسطو طاليس المعلم الأول** ،(د ط ، بيروت ، الطبعة الكاثوليكية ، (د س)) ص ص 73 . 74.
[2] مرجع نفسه ، ص 105

إذ أرسطو جعل الطبيعة الإنسانية محور بحثه ، لذا فالأخلاق لديه تعني أن يستطيع إظهار إمكاناته الطبيعية وممارسة الحياة المشتركة مع أمثاله من بني الإنسانية،وبذلك لديه قيم عقلية وجسدية و خارجية ، فالأولى تتمثل في مختلف الفضائل التي تتصل بالعقل والسيطرة على النفس كالشجاعة والحكمة، ومن القيم المتصلة بالجسد كالصحة من القيم الخارجية كالثروة والسلطة وبذلك فالأخلاق وسعادة الإنسان تتحقق في إطار حياته الطبيعية.[1]

وعموما ، فإن أرسطو سار في اتجاه سقراط وأفلاطون ، فقد حارب اللذة التي هي غاية قصوى لأفعالنا الإنسانية حيث اعتنق السعادة وإستوفي بحثها حتى بدأت على يده لأول مرة مذهبا فلسفيا دقيقا منظما ، وبالتالي ،جاهر بأن الأخلاق علم عملي يهدف إلى تحقيق غاية بغيرها فيتعذر على الإنسان أن يقوم بفعل أو تصرف ، ومن هنا ،أخذ أرسطو نفسه بالبحث عن غاية الحياة ، أي توخى الكشف عن الغاية القصوى التي تكون أداة لغاية أبعد منها، ومن ثم تتجه إلى تحقيقها أفعال الإنسان،وتكون قيمتها في ذاتها وليست خارجها ، فتوصل إلى الخير الأقصى وآيته أن يختار لذاته لا لغاية أبعد منه ،وأن يكفي وحده لإسعاد الإنسان وهو يقوم في السعادة كما بدت في تصوره.

[1] محمد الجبر_، مرجع سابق ،ص 40.

ثانيا:الأخلاق في العصر الوسيط

لقد ارتبطت الأخلاق في العصور الوسطى بالدين ، خصوصا الدين المسيحي الذي أظهر تأثير كبيرا على مختلف النظريات الأخلاقية ، وعلى الكثير من الفلاسفة الذين حاولوا البحث في مفهوم الخير منهم القديس أوغسطين* ، الذي ولد من أم مسيحية وأب وثني وكان يتمتع بدرجة كبيرة من الثقافة والاستقلال الفكري ، وهو ما جعله في بداية حياته يهجر ديانة أمه التي اعتبرها نوع من السذاجة ، فإنصب جل انشغاله في الحياة حول البحث عن مفهوم الخير والشر ،وكان يتساءل حول الحقائق المعنوية ،وكيف يمكن لهذه الحقائق أن تترجم إلى شي محسوس أي أن أوغسطين حاول إيجاد معنى عملي لمفهوم الخير الذي اعتبره مفهوم مجرد لكن حين سفره إلى روماطلع على الفلسفة اليونانية ،التي رأى فيها أن الحقيقة المطلقة لايمكن أن تتجسد وهي الخير المطلق ، وأن الشر غياب الخير ، وهو ما فتح الباب أمام أوغسطين ليعتنق المسيحية ،التي تؤمن بإله واحد غير منظور هو الخير المطلق ،وأنه بالارتباط بهذا الإله تتوحد الذات.[1]

وقد شبه في كتابه **مدينة الله** النزاعات البشرية، كالخير بمدينة الله والشر بمدينة الأرض، أي أنه كما في الإنسان نزعتين كحب الذات إلى حد الاستعانة بالله ونزعة حب الله إلى حد الاستهانة بالذات،كذلك في المجتمع مدينتان مدينة الشيطان تعمل على نشر الظلم

* أوراليوس أوغسطين أشهر أباء الكنيسة اللاتينية ولد بطاجسطا أو سوق أهراس (354 م .430 م) . جورج طرابيشي ، مرجع سابق ، ص 117 .

[1] فايز فارس ، **الأخلاق المسيحية**،(ط1،القاهرة ، دار الثقافة،1992) ص29.

،ومدينة الله تعمل على نشر العدالة ويعيش فيها الإنسان وفق مشيئة الله أما مدينة الشيطان فيعيش فيها وفق حب الذات،ووصمه بالإثم والخطيئة المتوارثة عن أدم.[1] فحسب أوغسطين أن مصدر البر والأخلاق الخيرة ،هي الشريعة المسيحية بما تحويه من تعاليم تعبر عن مشيئة الله وأن نقطة الضعف تكمن في إرادة الإنسان الشريرة ،التي ترفض أن تطيع هذه النواميس أو تطيعها ليس بدافع المحبة فأوغسطين اعتبر طاعة الأوامر الإلهية دون نية خالصة لله ، وهي ما سماها بالمحبة أمر غير أخلاقي فالإنسان عند أوغسطين تمثلت خطيئته الأولى ،في تحول المحبة من الله إلى محبة ذاته باختياره وإرادته الحرة ومنه فالإنسان يعيش حالة من الإحساس بالذنب يحاول إصلاحه ولا يكون هذا إلا بتوجيه من الله ونعمة منه لإصلاح إرادته، فالأخلاق عند أوغسطين لا تدرك خيريتها بالعقل ومن خلال النتائج النافعة التي يصل إليها وإنما تكمن خيريتها في نوايا الإنسان الخيرة ،التي تتبع منها جميع الفضائل أما إذا كانت هذه الفضائل من أجل ذاته تحولت إلى رذائل ،فقد فسر أوغسطين الأخلاق على أساس المحبة لله هذه المحبة التي تتمثل في إرادة الإنسان المتوجهة إلى الله.[2]

ونستنتج من هذا أن القديس أوغسطين ، حاول إيجاد معنى عملي لمفهوم الخير وبعد إطلاعه على الفلسفة اليونانية التي رأى فيها أن الحقيقة المطلقة (الخير) ، لا يمكن أن تتجسد لهذا اعتنق الديانة المسيحية التي تؤمن بإله واحد وكذلك نجد أن أوغسطين في كتابه

[1] رأفت الشيخ ، **تفسير مسار التاريخ** ، (ط1 ، مصر ، عين للدراسات ، 2000) ص ص 38 . 39.

[2] فايز فارس،مرجع سابق،ص ص32.30.

مدينة الله شبها النزاعات البشرية كالخير بمدينة الله ، والشر بمدينة الأرض وأيضا اعتبر مصدر البر والأخلاق الخيرة هي الشريعة المسيحية ، بما تحويه من تعاليم التي تعبر عن مشيئة الله.

ثالثا:<u>الأخلاق في العصر الحديث</u>

إن بحث هيوم* في مجال الأخلاق يمثله رفضه للعقل ،وميله للقلب والعاطفة فعنده،أن الحكم الخلقي ينشأ حين نتصور فعلا ما بجميع علاقاته، فتقوم فينا عاطفة إقرار أو إنكار فنقول عن الفعل أنه خير أو شر دون ميول أنانية،فالأخلاق عند هيوم مصدرها العاطفة الإنسانية المتمثلة في حب الخير لجميع الناس فالإنسان قد يقرر أفعالا على أنها أخلاقية لكنها لا تفيده لشخصه أو ينكر أفعالا تفيده لشخصه، فالأساس في ذلك هو عموم المنفعة ولما كانت الأخلاق صادرة عن الغريزة كانت أصولها واحدة عند الجميع ورجعت الاختلافات إلى اختلاف الظروف، فالغريزة الأبوية في محبة الأبناء هي غريزة عامة وقتل الأبناء يعتبر مظهر من مظاهرها ، في بلد جد فقير فهيوم يحكم على هذا الموقف أنه أخلاقي استنادا إلى غريزة المحبة الأبوية، التي اعتبرها عاطفة صادقة رغم ما نتج عنها من الأفعال السيئة.[1]

* دافيد هيوم فيلسوف ومؤرخ وعالم إقتصادي إسكتلندي (1711 . 1776 م). جورج طرابيشي، مرجع سابق ، ص 726.

[1] يوسف كرم، **<u>تاريخ الفلسفة الحديثة</u>**، (دط، القاهرة ، دار المعارف ،(دس)) ص180.

لذلك رفض هيوم في إصدار الأحكام الأخلاقية ، انطلاقا من مقدمات إلى نتائج لا تحتويها المقدمات و لو بطريقة ضمنية ،وعلى ذلك رأى هيوم أنه لا يجوز استنتاج ما ينبغي أن يكون مما هو كائن ويبرهن في هذا على الافتراض القائل بأن الأحكام الخلقية ، تشتمل على عنصر في معناها وهو في جوهره العنصر الخلقي ، الذي لا يعادله في ارتباط المقدمات شي ،أي أن الأحكام الأخلاقية عند هيوم ،هي أحكام لا ينبغي أن ترتبط بالواقع وإنما تتعال عن كل ما هو كائن لتصل إلى ما ينبغي أن يكون فالأخلاق عند هيوم ، أرادها أن تكون ذات طبيعة أخلاقية وعاطفية فتلك العاطفة الإنسانية هي التي تعبر عن كل ما هو أخلاقي.[1]

وعموما نستنتج أن مصدر الأخلاق عند هيوم، هي العاطفة و ليس العقل فالعقل عنده ليس أداة للحكم الأخلاقي وليس دفاعا للأفعال الخلقية، بل تقتصر مهمته على تحليل عناصر الموقف الذي نحن إزاءه في لحظة معينة وخلال تحليله نعلم أنه موقف قد ينتهي بنا إلى منفعة.

و بالتالي تأتي العاطفة بما تثيره من شعور بالرضا أو السخط باللذة والألم، بالطمأنينة أو القلق وعلى أساس هذا الشعور العاطفي نتحرك نحو الفعل أو ننفر منه.

[1] زكي نجيب محمود ، مرجع سابق ، ص 28.

الفصل الثاني

موقف إيميل دوركايم من الأخلاق الاجتماعية

الفصل الثاني : موقف إيميل دور كايم من الأخلاق الإجتماعية

المبحث الأول : عناصر الحياة الأخلاقية في المجتمع

أولا : روح النظام

ثانيا : التعلق بالجماعة

ثالثا : إستقلال الإرادة

المبحث الثاني :الأساس السيسولوجي للأخلاق عنده

أولا: الضمير الجمعي

ثانيا: التنشئة الأخلاقية

ثالثا: الواجب و الإلزام الخلقي

المبحث الثالث : مقاربة نقدية

الفصل الثاني: موقف إيميل دوركايم من الأخلاق الإجتماعية

سار إيميل دور كايم على درب أوغست كونت في منطقه الوضعي ولكنه بلور النظرية الأخلاقية على أساسها، وإعتبر المهندس الأساسي للمدرسة الإجتماعية في الأخلاق و القيم ويبدو من دراسة كتاباته أنه كان يحاول أن يرد نظريات (كانط) الذاتية ويسفه المدرسة النفعية، التي لم تفسر كيف أصبحت القيم عامة وكلية وإعتبر مبدأ اللذة والألم ليس حتميا في ميدان الأخلاق بل يتضمن في ذاته عناصر هدمه ، كما جعل دور كايم علم الإجتماع محور دراسته مستهدفا إقامة الإجتماع علما واقعيا مستقلا، فالظاهرة الإجتماعية تؤثر في الفرد وتوجه سلوكه على غير إرادة منه بل لا يمكنه مقاومة تأثيرها وهي تخضع لقوانين علمية كالظواهر الطبيعية، وتنشأ بنشأة المجتمع لأنها من صنع العقل الجمعي ولها صفة الإلزام كما أنها تفرض نفسها على الأفراد .

المبحث الأول: عناصر الحياة الأخلاقية في المجتمع

في محاولاته الأولى لتحديد الظاهرة الأخلاقية كان دور كايم يتكلم بلغة العالم الإجتماعي ،الذي يريد أن يبتعد عن الأراء الذاتية ويحلل الحقيقة الأخلاقية إلى عناصرها الأساسية بطريقة موضوعية فسوف نتطرق إلى عناصرها وهي :

أولا : روح النظام

إذا كنا نريد أن نؤسس الأخلاق على أسس عقلية ، بعيدة عن العاطفة أو العقيدة فيجب أولا أن نبحث عن القوى الأخلاقية الأساسية أو العناصر الأساسية التي تكون قاعدة

كل حياة خلقية ،على ألا يدفعنا ذلك إلى إغفال العناصر التي كانت تتخذ شكلا دينيا بل يجب أن نحاول ، على العكس أن نجردها من مظهرها الخارجي لكي نصل إلى أساسها العقلي .

فإذا فرغ من هذه المهمة ، مهمة الكشف عن القوى الأخلاقية الأساسية فإننا نستطيع بعد ذلك أن نبحث في كيفية ملائمتها للظروف الراهنة للحياة الاجتماعية وأن نبين الإتجاه الذي يجب أن تتجه إليه، ومهمة الكشف عن القوى أو العناصر الأساسية للحياة الخلقية لا تستدعي منا أن نجهد أنفسنا في وضع قائمة كاملة للفضائل الإنسانية بل ولا لأهمها فإن ما نريد أن نكشف عنه ، هو الإستعدادات الأساسية أو الحالات العقلية التي تكون جذور الحياة الأخلاقية و تتفرع عنها الفضائل الأخرى بحسب دواعي الحاجات الإجتماعية .[1]

فلا يصح أن نتصور الأخلاق على أنها شيء عام يتحدد كلما شعرنا بالحاجة إلى ذلك بل إنها مجموعة من القواعد المحددة فهي عبارة عن قوالب محددة الأشكال نحن ملزمون بأن نصب فيها أفعالنا، و لا يعقل أن نشرع في بناء هذه القواعد وإستخلاصها من المبادئ الأرقى منها في اللحظة التي يتعين علينا فيها إختيار سلوكنا، إذ أن هذه القواعد توجد مهيأة بالفعل وهي تحيا وتعمل في محيط حياتنا ومن هذه القواعد تتألف الحقيقة الأخلاقية في شكلها الحسي ، وتظهر مهمة الأخلاق الأساسية في تحديد السلوك ووضعه

[1] السيد محمد بدوي ، **الأخلاق بين الفلسفة وعلم الإجتماع** ،(دط ، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية ، 2000) ص 188.

في صيغة ثابتة وإبعاده عن النزوات الفردية ، ومما لاشك فيه أن مضمون هذه القواعد الأخلاقية أو بمعنى أخر طبيعة الأفعال التي تفرضها لها أيضا قيمتها الأخلاقية .[1]

ولكن لما كانت هذه القواعد تهدف جميعها إلى تنظيم أفعال الإنسان فلا بد أن تكون هناك مصلحة أخلاقية، تجعلنا لا تقتصر على أن تكون هذه الأفعال محدودة فحسب بل أن تخضع كذلك بصفة عامة إلى نوع من النظام و لذلك يمكن القول بأن إخضاع سلوكنا لنظام معين وظيفة أساسية للأخلاق، ولهذا السبب ينظر الرأي العام بنوع من الازدراء إلى الذين يخبطون بدون نظام ومن لا يستطيعون أن يركزوا جهودهم في أعيان معينة ، مسلكهم هذا أية على فساد مزاجهم الخلقي من أساسه وعلى بلوغ أخلاقهم أقصى درجة من الاضطراب وفي الحق أن رفضهم القيام بوظائف منظمة يرجع إلى تبرمهم بكل ما هو عادة ثابتة و إلى ما يبدونه من نشاط لمقاومة كل خضوع للأوضاع المرسومة ،وإلى ما يشعرون به من رغبة في أن يظلوا في حرية كاملة ولكن هذه الحالة من عدم التصميم على خطة معينة تنطوي حالة مستديمة من عدم الإستقرار.[2]

وما دمنا نخضع في تصرفاتنا لقواعد خلقية ، فإن ذلك يؤدي بنا إلى القول بأن السلوك الأخلاقي في ذاته يتضمن فكرة الطاعة أو الخضوع للنظام ، وإذا كانت قواعد الأخلاق تحدد سلوك الإنسان فمعنى ذلك أيضا أنها تنظمه إذن فتنظيم السلوك وبث روح النظام وظيفة أساسية من وظائف الأخلاق، فغير المنظمين ومن لا يستطيعون أن يخضعوا

[1] إيميل دوركايم ، **التربية الخلقية** ، تر: السيد محمد بدوي ،(ط1 ، القاهرة ، المركز القومي للترجمة ، 2015) ص 27

[2] المصدر نفسه ، ص 28

تصرفاتهم لقواعد محددة يتساوون أمام الرأي العام من حيث النظر إلى حاستهم الخلقية بعين الشك والريبة والذين ينتظمون في أداء وظائفهم ولا تتكون لديهم عادات منتظمة يتصفون بعدم الثبات والقلق[1].

ولقد بدأ في السابق بالبحث عن الميول الأساسية للمزاج الأخلاقي لأن عمل المربي لا ينصب إلا عليها

وأسمينا تلك الميول بالعناصر الرئيسية للروح الأخلاقية ، ولقد عنينا من أجل تبينها بملاحظة الأخلاق من الخارج كما تمارس من حولنا، وكما تطبق دائما أعيننا على أفعال الإنسان ، كما نستخلص من بين الصفات العديدة التي تشتمل عليها ما فيها من صفات أساسية بالمعنى الصحيح، أي تلك الصفات التي تظهر لنا ثابتة في جميع الحالات بالرغم من إختلاف الواجبات الفردية فمن الواضح أن ما هو أساسي بحق هو الميول التي تجعلنا ننزع إلى أن نسلك سلوكا أخلاقيا ،لا في حالة خاصة بعينها وإنما في علاقاتنا الإنسانية بوجه عام وهكذا تتكشف لنا الأخلاق .[2]

من وجهة النظر هذه عن صفة رئيسية لها أهميتها العظمى ،وأن تكن خارجية شكلية فالأخلاق لا كما نلاحظها اليوم فحسب ،بل كما يمكن ملاحظتها من خلال التاريخ كذلك تنحصر في مجموعة من القواعد المحددة الخاصة التي تتحكم في السلوك بطريقة أمرة ونستطيع أن نستخلص من هذه الفكرة الأولى نتيجتين تتصلان بها إتصالا مباشرا ، النتيجة

[1] السيد محمد بدوي ، المرجع السابق ، ص 191

[2] إيميل دور كايم ، المصدر السابق ،ص 34

الأولى أنه لما كانت الأخلاق تحدد الأفعال الإنسانية وتثبتها وتنظمها، كانت تفترض لدى الفرد ميلا معينا إلى أن يحيا حياة منظمة وتتطلب لديه حبا خاصا للنظام* ، فالواجب منتظم إذ أنه يتكرر دائما كما هو بإطراد وتجانس تام والواجبات لا تؤدي بأفعال مفاجئة مباغتة تتم في فترات متباعدة كنوبات متقطعة ،وإنما الواجبات الحقيقية يومية يكررها المجرى الطبيعي للحياة في فترات دورية منتظمة ،وعلى ذلك فإنه يخشى على أولئك الذين يبلغ لديهم الميل إلى التغيير والتبديل حد الجزع من كل إطراد ألا تكون عناصر الحياة الخلقية متكاملة لديهم فالإنتظام في مجال الأخلاق قرين الإطراد الدوري في المجال العضوي .[1]

و النتيجة الثانية هي أن القواعد الأخلاقية كما لم تكن مجرد تسمية أخرى تطلق على عادات باطنة ما دامت تحدد السلوك من الخارج بطريقة أمرة، فلا بد من أجل طاعتها وبالتالي من أجل القدرة على السلوك الأخلاقي ،أن يتم للمرء إدراك تلك السلطة الذاتية التي تكمن فيها وبعبارة أخرى ينبغي أن يتم تكوين المرء بحيث يحس بسمو القوى الأخلاقية التي تعلو قيمتها على قواه الخاصة بحيث ينحني أمامها خاشعا ،بل تبين أن هذا الشعور بالسلطة لو كان هو مصدر بعض القوة التي تفرض بها كل قواعد السلوك أياما ما كانت على إرادتنا فإنه بالنسبة للقواعد الخلقية بالذات له شأن ذوبال إذ أنه هو وحده المتحكم في هذا الميدان

* النظام هو الترتيب أو الإتساق ، يقال: نظام الأمر أي قوامه ، وعماده ، والنظام الطريقة ،يقال: مازال على نظام واحد.والنظام بالمعنى العام أحد مفاهيم العقل الأساسية، ويشمل الترتيب الزماني ،و الترتيب المكاني ،والترتيب العددي ،والسلاسل والعلل والقوانين والغايات والأجناس والأحوال الإجتماعية ، والقيم الأخلاقية والجمالية، جميل صليبا، **المعجم الفلسفي** ،(دط، لبنان، دار الكتاب اللبناني ،1982)ص471

[1] اميل دوركايم ، المصدرالسابق ، ص 35

بدون منازع وليس هناك أي شعور أخر يختلط أثره به فمن طبيعة تلك القواعد أن تجره تلك الأفعال من نتائج .[1]

وإنما لمجرد كونها أمرة فقدرتها لا تنشأ ألا مما لها من سلطة، ونلمس أمامنا هنا عنصر ثانيا للروح الأخلاقية غير أن القارئ لا شك قد تبين أن هذين العنصرين ليس في أساسهما سوى عنصر واحد ،فحاسة الإنتظام وحاسة الشعور بالسلطة ليس إلا وجهين لحالة ذهنية واحدة أعظم منهما تعقيدا ،وهي التي يمكن تسميتها بروح الخضوع للنظام وإذن ففي روح الخضوع للنظام نرى الميل الأساسي الأول في مزاج خلقي .

أما الأخلاق فهي في جوهرها شيء ثابت مضطرد لا محل فيها للإختلاف، إذ إقتصر النظر على حقبة محدودة من الزمن فالحدث الأخلاقي ،لن يختلف غدا عما هو عليه اليوم مهما إختلف مزاج الأشخاص الذين يقومون بأداته والمزاج الخلقي يفترض إذن نوعا من القدرة على تكرار أفعال معينة في ظروف معينة، وبالتالي يستدعي تنمية بعض العادات ويفترض نوعا من الحاجة إلى النظام ومما يدل على الصلة الوثيقة بين العادة والعمل الخلقي أن كل عادة جمعية لا تخلو من طابع خلقي .[2]

للنظام إذن فائدته لا من أجل صالح المجتمع فحسب وليس فقط بوصفه وسيلة لا غناء عنها ولا يتم بدونها تعاون مجد وإنما من أجل صالح الفرد أيضا فيه تعتاد الإعتدال في

[1] اميل دوركايم ،المصدرالسابق،ص36

[2] المصدر نفسه ، ص 37

رغباتنا وهو الإعتدال الذي لا يمكن أن يشعر المرء بالسعادة بدونه ، ومن هنا فإنه له دوره الكبير في تكوين أهم ما يتصف به الإنسان ألا وهو الشخصية.

ثانيا : التعلق بالجماعة

عرض من قبل لتحديد العنصر الثاني للروح الأخلاقية ،وهو يتمثل في التعلق بهيئة إجتماعية ينتمي إليها الفرد و سنبحث فيما إذا كانت الجماعات المختلفة التي تنتمي إليها تندرج في تسلسل أم لا وفيها إذا كانت كلها تصلح بنسبة واحدة ، غايات للسلوك الأخلاقي ولكن كان لزاما علينا أن نضع هذا المبدأ العام، وهو أن مجال الحياة الأخلاقية لا يكون إلا حيث تكون الحياة الجماعية أي بعبارة أخرى أننا لسنا كائنات أخلاقية إلا بقدر ما نحن كائنات إجتماعية .[1]

ولقد إستند من أجل إثبات هذه القضية الأساسية على حقيقة مشاهدة في التجربة ، يمكن لكل منا أن يتحقق منها بتأمل نفسه و الأخرين أو بالدراسة التاريخية لأنواع الأخلاق هذه الحقيقة هي أن الإنسانية لم تضف أبدا لا في حاضرها و لا في ماضيها ، قيمة أخلاقية على أفعال لا يكون لها من هدف سوى الصالح الشخصي لفاعلها وصحيح أن الإنسانية قد تصورت السلوك الأخلاقي دائما على أنه يؤدي بالضرورة إلى نتائج نافعة لكائن معين حي شاعر بذاته ، بحيث تزيد من سعادته أو تخفف من ألامه .[2]

[1] اميل دوركايم ،المصدر السابق،ص 64

[2] المصدر نفسه،ص64

وقد تبين وثبت بوضوح أنه لا يوجد وراء الفرد سوى كائن واحد نفسي أو إذا شئنا كائن واحد معنوي يمكن ملاحظته تجريبيا ، ويمكن ان تتعلق به إرادتنا وهو المجتمع وإذن فما من شيء يصلح هدفا للنشاط الأخلاقي سوى المجتمع ،على أنه لا بد من أجل ذلك أن تتوافر في المجتمع شروط عديدة ،وأول هذه الشروط هو أنه يجب بالضرورة ألا يؤول المجتمع إلى مجرد مجموعة الأفراد فما دمنا قد رأينا أن صالح كل فرد على حدة ليست له أية صفة أخلاقية فإن مجموع تلك المصالح مهما عظم عددا، لا يمكن أن تكون له كذلك أية قيمة ولكي يستطيع المجتمع أن يلعب في الأخلاق دورا لا يستطيع الفرد وحده أداءه يجب أن تكون له طبيعته الخاصة وشخصيته المتميزة عن شخصية أفراده ،وقد تبين أن هذا الشرط متوافر في المجتمع بالفعل فكما أن الخلية الحية هي شيء مخالف لمجرد مجموع الذرات غير الحية التي تتكون منها ، وكما أن الكائن العضوي ذاته ليس مجرد مجموع لخلاياه فكذلك المجتمع كائن نفساني له طريقته الخاصة في التفكير وفي الشعور وفي السلوك وهي طريقة تختلف عن طريقة الأفراد المكونين له، وهناك ظاهرة خاصة تبرز بوضوح تلك الصفة الخاصة للمجتمع هي ظاهرة دوام الشخصية الجماعية وبقائها متفقة مع ذاتها رغم التغير المستمر في مجموع الشخصيات الفردية .[1]

فكما يظل الفرد محتفظا بالصفات الأساسية لشكله المادي وطباعه الأخلاقية ،رغم أن الخلايا التي تتكون منها مادته العضوية تتجدد بأسرها في فترات قصيرة إلى أبعد حد فكذلك يظل المجتمع محتفظا بشكله الجماعي، دون أن يطرأ عليه سوى إختلافات ثانوية يقتضها

[1] إيميل دور كايم ، المصدر السابق ، ص 65

تغير الأزمان وذلك على الرغم من تجدد الأجيال بلا إنقطاع وهكذا إهتدى أخيرا حين تصور المجتمع على أنه كائن متميز عن الفرد إلى شيء يتجاوز ذلك الفرد ويعلو عليه دون أن نضطر إلى الخروج عن نطاق التجربة [1].

وليس هناك وراء الأفراد سوى الجماعات التي تنشأ عن إتصالهم أي المجتمعات وعلى ذلك فالغايات الأخلاقية هي التي تتخذ من (المجتمع) هدفا، والسلوك الأخلاقي هو السلوك الذي يهدف لصالح جماعي : ويعني دور كايم بكلمة (مجتمع) كل جماعة إنسانية سواء في ذلك الأسرة أو الوطن أو الإنسانية ،وسنبحث فيما بعد عما إذا كانت المجتمعات المختلفة تتدرج تبعا لأهميتها وعما إذا كان بين الغايات الجماعية، ماهو أرفع من غيره أما الأن نشير إلى المبدأ ونعني به أن مجال الأخلاق يبدأ حيث يبدأ المجال الإجتماعي.[2]

وإذا أكد أن المجتمع غاية السلوك الأخلاقي، فلا بد أن نرى فيه شيئا غير مجموعة الأفراد لابد أن نعده كائنا له ذاتيته الخاصة وله طبيعته الخاصة المتميزة عن طبيعة أفراده وله شخصيته المختلفة عن الشخصيات الفردية ،وبهذا الشرط وحده يستطيع المجتمع أن يؤدي في الأخلاق ذلك الأثر الذي يعجز الفرد عن أدائه .

ولكن إذا كان المجتمع لا يتكون إلا من أفراد فكيف تكون له طبيعة الأفراد المكونين له يرد دور على هذا الإعتراض الذي طالما وقف حجر عثرة في سبيل تقدم علم الإجتماع و الأخلاق بقوله : إن التجربة أثبتت أن الكل المؤلف من عناصر تكون له خصائص جديدة لا

[1] اميل دوركايم، المصدر السابق ،ص 66

[2] السيد محمد بدوي ، المرجع السابق ، ص 210

تتمثل في أي عنصر من مكوناته على حدة فالمركب إذن شيء جديد بالقياس إلى الأجزاء التي تكونه ،فعندما نمزج النحاس بالقصدير وهما معدنان يتميزان بالليونة والمرونة يتكون معدن جديد له صفة تختلف عن ذلك كل الإختلاف، وهو البرونز المعروف بصلابته والخلية الحية لا تتكون إلا من جسيمات معدنية غير حية ،غير أن مجرد التأليف بين هذه الجسيمات .[1]

يؤدي إلى أن تتبدى فيها الصفات المميزة للحياة كالقدرة على التغذي والتكاثر، وهكذا نرى أن الكل يمكن أن يكون شيئا أخر غير مجموع أجزائه وليس في هذا ما يدعى إلى الدهشة ،إذ أن مجرد إجتماع العناصر وتألفها بعد أن كان منها بمعزل عن الأخر يؤدي إلى أن يؤثر كل منها في الأخر ويتأثر به ،ومن الطبيعي أن تؤدي تلك التأثيرات والتأثرات التي نتجت عن التجمع مباشرة وما كانت لتحدث قبل وقوعه من الطبيعي أن تؤدي إلى ظواهر جديدة كل الجدة لم تكن لتوجد أولا هذا التألف .[2]

ومجمل القول إذن أن دور كايم يرى أننا لسنا كائنات أخلاقية ، إلا بقدر ما نحن كائنات إجتماعية وقد إستند من أجل إثبات هذه القضية الأساسية على حقيقة مشاهدة في التجربة : هذه الحقيقة هي أن الإنسانية لم تضف أبدا لا في حاضرها ولا في ماضيها قيمة

[1] السيد محمد بدوي ، المرجع السابق ، ص 210

[2] المرجع نفسه ، ص 211

أخلاقية على أفعال لا يكون لها من هدف سوى الصالح الشخصي لفاعلها ففي كل المجتمعات كانت الأنانية تدخل في باب المشاعر اللا أخلاقية [1].

وينتهي دور كايم من ذلك إلى نتيجة هامة وأساسية في مذهبه ،وهي أن (الإنسان) إلى حد بعيد، ثمرة من ثمرات المجتمع فمن المجتمع من يأتينا خير ما فينا ومنه تتبع الأشكال العليا لنشاطنا : فاللغة مثلا ظاهرة إجتماعية من الطراز الأول والمجتمع هو الذي أنشأها وهو الذي يورثها الجيل بعد الجيل، غير أن اللغة ليست مجرد مجموعة من الكلمات فكل لغة تنطوي على عقلية خاصة هي عقلية المجتمع ،الذي يتحدث بها وفي هذه العقلية يتبدى مزاجه الخاص وهي التي تكون أساس العقلية الفردية ،وينبغي أن يضاف إلى جميع الأفكار التي تأتي بها الدين إذ أن الدين نظام إجتماعي، بل لقد كان أساسا للحياة الجماعية كلها في عدد كبير من الأمم كما أن الدين أيضا ، ما زال بالنسبة إلى الأغلبية العظمى من الناس أرفع صور التفكير العام و الخاص وكذلك فإن نشأة العلم و تقدمه لم تكن إلا من أجل غايات إجتماعية فالمجتمع وحده هو الذي يبعث العلم إلى الوجود، إذ يحتم على أفراده أن يثقفوا أنفسهم وما أعظم الفراغ الذي يتخلف في أذهان الأفراد لو أزلنا منها كل ما جلبته الثقافة العلمية [2].

فمحال إذن أن يكون بين الفرد والمجتمع ذلك التعارض الذي سلم به كثير من المفكرين بلا تردد ، وإنما الواقع بعكس ذلك أن لدينا مشاعر عديدة تعبر فينا عن شيء غير

[1] السيدمحمد بدوي، المرجع السابق، ص 212

[2] المرجع نفسه ، ص 213

ذاتيتنا هو المجتمع ولا جدال في أن المجتمع يتجاوزنا، ويطغى علينا لأنه أوسع من وجودنا الفردي إلى حد لايتناهى غير أنه مع ذلك يتغلغل فينا من جميع النواحي، إنه حقا خارج عنا محيط بنا ولكنه كذلك فينا ، فكما يتغذى الكائن العضوي منا في ناحيته المادية بعناصر يستمدها من خارجه ،فكذلك يتغذى الكائن العقلي منا بأفكار ومشاعر و أفعال ترد إليه من المجتمع فمن المجتمع إذن نستمد أكثر أجزائنا أهمية [1].

ومن وجهة النظر هذه نستطيع أن نفسر بسهولة كيف أمكن المجتمع ،أن يكون موضوعا لتعلقنا كما نستطيع أن ندرك الخطر الذي يمكن في حياة الأنانية والواقع أن الأنانية المطلقة، لا وجود لها تقريبيا إذ أننا لو شئنا أن نحيا حياة أنانية بحتة لوجب علينا أن نتخلى عن طبيعتنا الإجتماعية وهو أمر يعدل في إستحالته محاولتنا القفز بعيدا عن ظلنا .[2]

فلقد بين أن هد ف الأخلاق هو أن تجعل الفرد يتعلق بجماعة أو بجماعات إجتماعية عديدة ،وأن الروح الأخلاقية تقتضي هذه التعلق ذاته فمعنى ذلك إذن أن الأخلاق قد جعلت من أجل المجتمع ولكن ألا هذا بالأحرى على أن الأخلاق خلقت بفعل المجتمع .

فالمجتمع في مجموعة هو وحده الذي يشعر بذاته شعورا يكفيه ليشرع هذا النظام الذي يرمي به إلى التعبير عن نفسه ،على النحو الذي يدرك به ذاته فالنتيجة التي تتحتم منطقيا هي أنه إذا كان المجتمع هو غاية الأخلاق، فإنه أيضا مبدعها أما الفرد فلا يحمل في ذاته تلك الأحكام الأخلاقية التي تبدو وكأنها قد رسمت مقدما على الأقل في خطوطها

[1] السيد محمد بدوي، المرجع السابق ، ص 215

[2] المرجع نفسه ، ص 216

العامة بحيث لا يكون على الفرد بعد ذلك ألا أن يحددها وينميها ، وتلك الأحكام لا يمكن أن نستخلص ألا من العلاقات التي تقوم بين الأفراد مجتمعين كما أنها تعبر عن حياة الجماعة أو الجماعات التي تختص بها.[1]

ثالثا : إستقلال الإرادة

تم شرح رأي دور كايم في أن الأخلاق نظام من القواعد الخارجة عن الفرد والتي تفرض عليه من الخارج لا بالقوة المادية، وإنما بفضل ما لها من تأثير أعلى كامن فيها ومستمد من تأثير حياة الجماعة.[2]

حيث صادفتنا في مواضيع عديدة من قبل أمثلة كثيرة للتعارض الوهمي بين مختلف عناصر الروح الأخلاقية ،فرأينا تعارضا بين الخير والواجب وبين الفرد والجماعة وبين التحديد الذي تفرضه علينا القاعدة المنظمة والنمو الكامل للطبيعة البشرية ،وليس في كثرة أمثلة هذا التعارض ما يدعو إلى الدهشة ، إذ أن الحقيقة الأخلاقية مركبة وموحدة في الوقت نفسه ،غير أن مصدر وحدتها هو وحدة الكائن العيني الذي يتخذ أساسا لها ، والذي تعبر تلك الأخلاق عن طبيعته ،وأعني به المجتمع ، أما إذ تصورنا تلك العناصر التي تتكون منها الأخلاق تصورا مجردا دون أن نربطها بأي شيء واقعي فستبدو الأفكار التي نكونها عنها منفصلة بالضرورة ويكاد يصبح من المستحيل ، إلا بمعجزة منطقية أن نظم بعضها إلى البعض ونجد لكل منها مكانة بين الباقين ومن هنا أتت وجهات النظر المتقابلة ومحاولات

[1] إيميل دوركايم ، المصدرالسابق ، ص 85

[2] السيد محمد بدوي ، المرجع نفسه، ص 221

إبراز التعارض أو الجمع بين حدوده بطريقة متكلفة وهي المحاولات التي طالما أجهدت عقول أصحاب النظريات الأخلاقية .[1]

ويصادفنا الأن تعارض جديد فمن جهة نرى القواعد الأخلاقية تبدو بكل وضوح كشيء خارج عن الإرادة فهي ليست من صنعنا، و بالتالي فنحن في إمتثالنا لها تخضع لقانون لم نشرعه فنحن إذن نخضع لجبرية حقيقية وإن كانت هذه الجبرية خلقية ، ولكن من المؤكد من جهة أخرى أن الضمير يحتج على مثل هذا التقييد في حريته ، فالفعل في نظرنا لايكون أخلاقيا يحق إلا إذا كنا قد أديناه بمحض إختيارنا ، دون أي ضغط من أي نوع على أننا لا نكون أحرارا لو كان القانون الذي تنظم سلوكنا تبعا له مفروضا علينا أي لو لم نكن قد أردناه بكامل حريتنا ولا شك أن ميل الضمير الأخلاقي* هذا إلى أن يربط بين أخلاقية الفعل وبين رد إستقلال الفاعل حقيقة لاسبيل إلى إنكارها ولا بد من أن ندخلها في حسابنا.[2]

فمن البديهيات الأساسية في أخلاقنا أن الشخصية الإنسانية هي الشيء الخليق بالتقديس، وتبعا لهذا المبدأ توصف كل محاولة للتعدى على شعورنا الذاتي بأنها لا أخلاقية ما دام فيها خرق لإستقلالنا الشخصي، ولا يصح أن تفرض علينا أية طريقة محددة في

[1] إيميل دوركايم ، المصدر السابق ، ص 108

* خصوصية العقل البشري في إصدار أحكام معيارية قيمية تلقائية وفورية على القيمة حول ضمير (أخلاقي) هناك جدال حول مسألة الإستعلام عما إذا كان الحكم سابقا أو لاحقا للشعور ، في الضمير الأخلاقي :يرى لاشلييه ((أن خصوصية الضمير هي الإستحسان أو الإستقباح ، إذ أن الفرح والألم لا يأتيان إلا بعد الحكم الأخلاقي)) ويرى برنيس أن الأخلاقية لبعض الأعمال الفردية المحددةعندما يطبق هذا الضمير على أعمال الفاعل المقبلة ، فإنه يرتدي رداء (صوت) يأمر أو يمنع ،وعندما يقال على الأعمال السالفة فإنه يترجم بمشاعر سرور (رضى)أو ألم(تأنيبات) هذا الوجدان يوصف ، حسب الأحوال بأنه :صاف ،مشبوه ، ضال ، أندري لالاند، **الموسوعة الفلسفية**،تر:خليل أحمد خليل ،(ط2،باريس،منشورات عويدات ،2001)ص 212

[2] السيد محمد بدوي ، المرجع السابق ، ص 222

التفكير حتى ولوكان ذلك بإسم السلطة الأخلاقية ، وهناك من ينكر على الضمير الأخلاقي حق المطالبة بمثل هذا الإستقلال إذ يلاحظ هؤلاء أننا نخضع دائما لضغط دائم فالبيئة الإجتماعية، تشكلنا وتفرض علينا أراء متنوعة لم تصدر واحدة منها من ذهننا هذا فضلا عن الميول التي ترد إلينا حتما عن طريق الوراثة ويضيفون إلى ذلك قولهم إن الشخصية ناتجة عن البيئة، لا كما يشهد بذلك الواقع فحسب بل كما يحب أن تكون ولكن مهما كانت قيمة هذا الرأي من حيث إعتماده على تأثير المجتمع ،فمن المؤكد أن الضمير الأخلاقي يعلو صوته دوما بالإحتجاج على هذه العبودية ويدعو بحماسة إلى مزيد من الإستقلال الشخصي.[1]

ماهي إذن وسيلة التوفيق بين هاتين الضروريتين :(إلزام) القاعدة بوصفها صادرة عن ضمير المجتمع وإستقلال الإرادة* ،أو معنى أخر كيف يتحقق الخضوع للقاعدة مع شعورنا الذاتي بحريتنا في إختيار فعل ؟

يرى دور كايم أن تحقيق ذلك يتم عن طريق (العلم) فكما تحرر عقلنا بالنسبة للأشياء المادية وقوانين العالم المادي عن طريق العلم، فكذلك تتحرر إرادتنا بالنسبة للقواعد الأخلاقية عن طريق العلم، ويفسر دور كايم فكرته هذه بقوله " حين يقبل المرء نظاما معينا للأشياء لأنه على يقين من أنه كما يجب أن يكون "

[1] السيد محمد بدوي ، المرجع السابق ، ص 223

* يرد السلوك إلى نزاعات وأفكار عن الذات لا عن سلطات خارجية ، ويريد به كانط أن يسير الفرد في سلوكه على مقتضى قانون يفرضه على نفسه بإرداته الحرة العاقلة،وهذا هوأساس استقلال قوانين الأخلاق عنده، إبراهيم مذكور ، **المعجم الفلسفي** ، (دط، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، 1983) ص 12

فليس في ذلك خضوع لأي ضغط وإنما يريد المرء ذلك النظام إرادة حرة ويقبله وهو عالم بسبب قبوله وهذا النظام الأخلاقي، الذي لم يخلقه الفرد من حيث هو فرد هذا النظام يستطيع الفرد أن يسيطر عليه عن طريق العلم ،فعلى الرغم من أننا نبدأ بالخضوع للقواعد الأخلاقية سلبيا وعلى الرغم من أن الطفل يتلقاها من الخارج عن طريق التربية، و أنها تفرض علينا بفضل سلطتها على الرغم من كل ذلك فإن في وسعنا أن نبحث عن طبيعتها وشروطها القريبة و البعيدة والحكمة من وجودها.[1]

وبالإختصار في وسعنا أن نكون عنها علما فلنفترض أن هذا العلم قد تم عندئذ ينتهي عهد خضوعنا ، وتصبح لنا السيادة في عالم الأخلاق فلا يعود ذلك العالم خارجا عنا ما دمنا عندئذ نتصوره في ذاتنا بنظام من الأفكار الواضحة المتميزة التي ندرك كل ما بينها من صلات ، وهكذا ينتهي دور كايم إلى أن " الفكر هو الذي يحرر الإرادة ويرى أن تلك القضية ثم يحدد بوضوح معالم المنهج الإجتماعي في دراسة الأخلاق".[2]

حين يقول : (إننا نستطيع أن نغزو العالم الأخلاقي إلا بالطريقة نفسها التي غزونا بها العالم المادي أعني ببناء علم الظواهر الأخلاقية)، فليس يكفي إذن بل لم يعد يكفي من أجل أن يكون سلوكنا أخلاقيا أن نحترم النظام وأن نتعلق بجماعة، بل لابد أيضا أن يكون لدينا في إطاعتنا للقاعدة وفي ولائنا لمثل جماعتي أعلى أوضح وأكمل إدراك ممكن ، لأسباب سلوكنا وهذا الإدراك هو الذي يضفي على أفعالنا ذلك الإستقلال الذي يتطلبه

[1] السيد محمد بدوي، المرجع السابق ، ص 224

[2] المرجع نفسه ، ص 225

الشعور العام من كائن أخلاقي تماما أي أن العنصر الثالث للأخلاق هو حسن تفهم الأخلاق فأخلاقية ،المرء لا تنحصر في مجرد أدائه لأفعال معينة وإنما لا بد أن يكون قد أراد القاعدة التي تملي عليه هذه الأفعال بإختياره أي قبلها طواعية وهذا القبول الإرادي ليس إلا القبول عن علم وتفهم .

ويؤكد دور كايم أهمية هذا العنصر الأخير بقوله أبرز سمة للضمير الأخلاقي للشعوب المعاصرة، إذ أخذ التعقل والفهم يثبت أقدامه بالتدريج بوصفه عنصرا للأخلاق وأخذت الأخلاق التي كانت فيما مضي تنحصر كلها في الفعل ذاته، ترتقي رويدا رويدا نحو الذهن أي نحو التصور الذي ينفذ إلى أعمال الأشياء والذي يبرر القاعدة ذاتها ويوضح أسبابها والحكمة منها .[1]

المبحث الثاني: الأساس السوسيولوجي للأخلاق عنده

أولا: الضمير الجمعي

يعتبر الضمير الجمعي *عند دوركايم أحد المفاهيم الكبرى في فلسفته الأخلاقية، فمن حيث القانون والأخلاق والضبط الإجتماعي فهنالك ولاء ملحوظ للضمير الجمعي الذي يعني مجموعة من المعتقدات و العواطف العامة بين أعضاء المجتمع، والتي تكون نسقا

[1] السيد محمد بدوي، المرجع السابق ، ص 227

* أطلق دوركايم اصطلاح الوعي الجماعي على التصورات والعواطف المشتركة ،وزعم أنها مختلفة عن التصورات والعواطف الفردية ، ولكن هل يستطيع هذا الوجدان الجماعي أن يدرك أحواله بنفسه ، فربما كان الوجدان الجماعي دالا على الإطار المحيط بأحوال النفسية الجماعية شعورية كانت أو لا شعورية بل ربما كان مرادفا للعقل الكلي وعندئذ يصبح عقلا مستقلا عن عقول الأفراد شبيه بالعقل الفعال الذي تفيض عنه المعقولات على العقل الإنساني ، جميل صليبا ، **المعجم الفلسفي**، (دط، لبنان ، دار الكتاب اللبناني ،1982) ص ص 412،411

خاصا ومثل هذا الضمير له وجوده الخاص المتميز فهو يدوم عبر الزمن ويعمل على توحيد الأجيال والضمير يعيش بين الأفراد ولكنه يتميز بالقوة والإستقلال خاصة حينما تزداد درجة التشابه بين الأفراد.

وهناك إشارات كثيرة إلى الضمير الجمعي في أعمال دوركايم ،وله وجوه شتى فهو يسمى بالوعي الشعبي أو الضمير الأخلاقي للشعوب والعقل العام والحياة النفسية للمجتمع والوعي العام و ذهنية الجماعات، وكذلك مصطلح (الضمير الجمعي) يطلق عليه التسمية شائعة الصيت وهي (الوعي الجمعي) وكذلك (العقل الجمعي) لأنه ينشأ من الجسد الجمعي فإن عناصره المباشرة جدا هي العقول الفردية التي تشكله عبر ترابطها معا.

إن نفسية الجماعة من نفس طبيعة نفسية الفرد لكن لها طبقة أساسية مختلفة ،وهي المجتمع وكل العقول التي تحويها ولذلك لها نظام مختلف ولا يمكن إختزالها إلى عقول فردية تشكله مثل الجسد الإجتماعي، الذي لا يمكن أن يختزل إلى الأفراد ومن الأفعال وردود الفعل الكائنة مابين أفراد المجتمع تتبع حياة ذهنية جديدة تماما .[1]

وعندما لا تكون العقول الفردية منعزلة لكنها تدخل في علاقة مباشرة مع غيرها وتؤثر فيها ،فإن تألفها يتسبب في ظهور حياة نفسية جديدة .....إنه عالم كثيف للغاية لكنه مختلف نوعيا أيضا والوعي الجمعي، هو ذروة الحياة النفسية لذا فهو وعي كل وعي وإذا كانت الحياة الممثلة للفرد تتسم بالروحانية فإن الشكل الإجتماعي لها ذو روحانية فائقة .....وكل

[1] جينيفر م ليمان ، **تفكيك دوركايم نقد ما بعد بعد بنيوي** ، تر: محمود أحمد عبد الله ،(ط1 ، القاهرة ،المركز القومي للترجمة 2013) ص 67

الخصائص المكونة للحياة الذهنية كائنة فيه لكنها متطورة إلى درجة ذات قوة فائقة ولذا فهي تسبب في قيام شيء جديد كل الجدة .

وإتفاقا مع فكرة أن العقل الإجتماعي عقل جمعي تمضي في نفس المسار فرضية تقول بأن منتجات العقل الإجتماعي ومحتوياته تفاصيل جمعية، فإرتباط العقول لمعيشة يضحى حقل فعل لظاهرة جديدة من نوعها ، لا يمكن لهذه العقول أن تنتجها بقوة طبيعتها الخاصة بمفردها لذلك فالصور الذهنية الجمعية خارج الفردية ،وناشئة عن ترابط العقول إذ تندمج العقول الفردية مع الظواهر الفكرية ويتغيران معا، وحالها في ذلك كمن دخل في تفاعل كيميائي يغير عناصره لأن هذا الإندماج و التألف من عمل الكل فإن فضاءه هو الكل والصور الذهنية الجمعية ،هي نتاج تعاون مكثف فيه ترابطت بعض العقول وإتحدت و إندمجت أفكارها ومشاعرها ....وفيها يتركز نشاط فكري خاص هو أثري دون حدود وأعقد من النشاط الفكري للفرد والمثاليات الإجتماعية أو الأفكار والمشاعر، التي جاءت من صنع الجماعية تعتبر من أثار عملية نفسية خصبة وإبداعية منفردة ،وبها تتشارك أشكال الوعي الفردي مع بعضها وتتصهر في وعي مشترك كذلك يدور محتوى النفسية الجمعية حول قطبين : المحتوى الفكري أو الفكر الجماعي والمحتوى المعياري أو الأخلاق الجمعية وهذه القسمة غير واضحة في أعمال دور كايم .[1]

ويرى دور كايم العقل الجمعي أو الوعي الجمعي، أهم جانب من جوانب المجتمع و يتحدث في الأن ذاته عنه وكأنه المجتمع هو بأساس ظاهرة أو وحدة فكرية هذا التوجه يبدو

[1] جنيفر م ليمان، المرجع السابق ، ص 68

أحيانا في تصوير المجتمع بوصفه (مجموعة من الأفكار) لذلك يعرف المجتمع في كتابه علم إجتماع والفلسفة بوصفه مركبا من الأفكار والمعتقدات والمشاعر بشتى صورها .....وأهم من الأفكار هو المثاليات الأخلاقية ،التي تعبر علة وجوده الأساسية كما أن الظواهر الإجتماعية الكبرى من دين وأخلاق وقانون وإقتصاد وجماليات، ليست سوى أنساق قيم ومن ثم فهي أنساق مثاليات ويصف البيئة الإجتماعية في كتابه الإنتحار بوصفها واحدة من الأفكار والمعتقدات والعادات والتوجهات العامة.[1]

ويرى الحياة الإجتماعية صورة ذهنية، ويتضح هذا المعنى جليا في كتابه قواعد المنهج حين يقول الحياة الإجتماعية مكونة كلية من صور ذهنية جمعية والحقائق الإجتماعية ،عنده أشياء لكنها ليست أشياء وحسب قوله فالحقائق الإجتماعية لابد أن تدرس كأشياء وليس ضروريا الإصرار على أن الحياة الإجتماعية مكونة من أي شيء أخر سوى صور ذهنية ، وأحيانا ما كان يصور المجتمع بوصفه مجموعة من أشكال الوعي فهو إشتراك العقول والإرادات الذي يمثل الشرط الأول لأي حياة إجتماعية ، فالظاهرة الإجتماعية لها طبقة أساسية هي الوعي الذي يتكون من كل أشكال الوعي الفردي متحدة ومندمجة ويقول في كتابه الصور الأولى بأن القبيلة عبارة عن أشكال من الوعي الفردي مترابطة، وفيه يعرف المجتمع بوصفه توليفة من أشكال الوعي البشري، وأن لديه قوة إبداعية لا تقارن لأنه مكون من توليفات عديدة لأشكال وعي مكتملة كما يقول في كتابه قواعد المنهج بأن أشكال الوعي الفردي تنتج معا الكائن الإجتماعي، لابد أن تندمج أشكال الوعي معا على نحو ما

[1] جينيفر م ليمان ، المرجع السابق ، ص 69

فيه فالحياة الإجتماعية نتاج هذا الإندماج ولا تفسر لذلك إلا به فعقول الأفراد تتشكل في جماعات بالإندماج و الإنصهار متسببة في ولادة كائن سيكولوجي .[1]

إن شئت القول لكنه ذا طابع سيكولوجي من نوع جديد إن هذا التصور السيكولوجي من نوع جديد إن هذا التصور السيكولوجي للمجتمع ،إنطلاقا من كونه مجموعة من الأفكار أو العقول و يعتبره هذا الموقف الذي يذهب فيه دور كايم إلى إعتبار المجتمع كائنا بتواجد عقل الجماعة، الذي يختزل إلى الوعي الجمعي موقفا في فكره و إن ما يصر عليه عموما هو الأهمية المطلقة التي يضفيها على أبعاد المجتمع الفكرية والأخلاقية، فهو يفترض أولا أن هذه الأبعاد تشكل حيزا له واقع وخصوصية و إستقلالية نسبية وأن الوعي الجمعي كائن فعلا و لا يمكن إختزاله إلى أشكال الوعي الفردي التي تشكله ،و أن الجمعية لا يمكن إختزالها إلى سكولوجيا الفرد على نفس الوتيرة التي يصعب فيها إختزال سيكولوجيا الفرد إلى أصلها البيولوجي، فالمركب لا يفهم بأجزائه والأشكال العليا لا تفهم الدنيا و على هذا النحو فإن الوضع الأساسي للوعي الإجتماعي " هو إرتباطه الوثيق بطبقته الأساسية وهي عدد العناصر الإجتماعية وطريقة تجميعها و توزيعها "، غير أن ما إن ينشأ عدد كبير من الصور الذهنية ..... تضحى وقائع مستقلة جزئيا لها أسلوبها في الحياة ولها القدرة على الجذب والطرد إزاء بعضها البعض، لتشكل فيما بينها توليفات عديدة تحددها علاقات طبيعية لا ظروف إختلاطها .[2]

[1] جينفر م ليمان، المرجع السابق ، ص69

[2] المرجع نفسه ،ص 70

و بالتالي فإن الصور الذهنية التي تنشأ عن هذه التوليفات لها نفس الطابع فهي نتاج مباشر لصور جمعية أخرى لإنتاج خاصية أو أخرى من خواص البناء الإجتماعي.

هذا الوعي الجمعي الفعلي والمستقبل نسبيا يولد بإعتباره أهم واقعة إجتماعية ،إن لم يكن الواقعة الإجتماعية الوحيدة ويضفي دور كايم عليه طابع القوة السببية والمحددة في مشروعه السوسيولوجي .[1]

إن المثاليات التي تعني دائما عند دور كايم كل ما هو فكري و أخلاقي مجال القوة الإجتماعية، فهي مجال كل ماهو مثالي أي الوعي الجمعي للمجتمع الذي يهيمن أو يحدد حدود الأفراد و الوعي الجمعي مكون من أشكال وعي فردية ،غير أنه ما أن يتشكل حتى يتجاوزها و يهيمن عليها وبها يوجه سلوك الفرد إن هذا إلا ألية الحتمية الإجتماعية عند دور كايم بفحواها أو معناها، فوعي الجماعة يفرض موانع إجتماعية ضاغنة على أشكال وعي أعضائها إذ للمجتمع هيمنة أخلاقية على أعضائه ،وهي السلطة تتكئ على قوة كائن أخلاقي على الجماعة التي لها سلطانها على أعضائها من الأفراد أي الكائنات الأخلاقية بها، وهذه الهيمنة مردها تأثير الوعي الجمعي في أشكال الوعي الفردي لذلك للفكر الإجتماعي " سلطة أمرة " لها تأثيرها بفضل (سلطانها على العقول) [2]

والوعي الجمعي يعمل من خلال الوعي الفردي ويؤثر في إرادة الفرد، فالأفكار والمشاعر الجمعية لها الهيمنة والسلطة بوصفها قوى أخلاقية تهيمن على الفرد وتدعمه إذ

[1] جينفر م ليمان، المرجع السابق ، ص 70

[2] المرجع نفسه ، ص 71

عندما تحرك هذه المثاليات إرادتنا نشعر بأننا منقادون و موجهون ومحمولون على أيدي طاقات واحدة لا تتبع من دواخلنا بل مفروضة علينا من الخارج، فالمثاليات لها واقعها و طبيعتها الخاصة وهي تطفوا موضوعيا فوق إرادة الأفراد، الذين تقوم بتحريكهم وإنما الإرادة التي تحول المثالي إلى أي شيء أخر غيره فإن ماهو مثالي له (قوة قادرة على توجيه إرادتنا) لأن إرادتنا قادرة بمفردها على جعله واقعا حيا ... و لابد أن تتحول هذه القوة إلى حركة العضلات فالحركة العضلية أو السلوكية ،هي أثر محدد وهي الواقع الفيزيقي و المادية و المنتج النهائي للعقل الجمعي، كما أن المثالي هو مجموعة من الأفكار التي تحلق فوق الفرد بينما تحثه بهمة على القيام بسلوك ما فالصورة الذهنية الجمعية تقوم بتشكيل محتوى العقل الفردي الذي هو بالتالي مسؤول عن السلوك الفردي .[1]

إن الوعي الجمعي يحدد الفكر وكذلك السلوك وهو أمر واضح أيما وضوح في أعمال دور كايم ،لكن الوعي الجمعي يوجده متصل له قطبان و يتحرك دور كايم بين القطبين و أحيانا ما تكون حركته مثيرة للإلتباس ،فمن طرف على المتصل نجد الوعي الجمعي وقد كان وعيا مشتقا للغاية وفي الطرف الأخر سوف نجده واعيا متبلور ومحدد المعالم، ففي الجهة الأولى سوف نجد الأراء العامة والمشاعر العامة والأخلاق العامة وغيرها وفي الجهة الأخرى من المتصل نجد التدابير القانونية و الأخلاقية الواضحة .[2]

[1] جينيفر م ليمان ، المرجع السابق ، ص 73

[2] المرجع نفسه ، ص 74

إن دوركايم ليخلع على كل هذه المفاهيم السابقة قوة الحتمية الإجتماعية ،و يستخدمها جميعا بالتبادل لكنه غير واضح في تحديد علاقة كل منها بغيرها، و إن كان الوعي الجمعي المشتت عنده هو أساس قواعد المجتمع ،والقواعد هي بلورة للوعي المشتت ومصدر قوة هذا الوعي ودعمه فمن وراء القواعد العامة تقف المشاعر الجمعية، و الرأي العام اللذان يفعلان القواعد و يجعلان لها تأثيرا والأراء مصدر التدابير الإجتماعية ،و أوضح جملة على هذه النظرية وردت في كتابه (الإنتحار) الذي ناقش فيه مرارا العلاقة السببية المباشرة مابين الأمزجة الإجتماعية المشتتة و غيرها من مشاعر و تيارات من جهة والسلوك و معدلاته من جهة أخرى، إذ يوجد طبعا صيغ محددة تصاغ فيها العقائد الإيمانية و القواعد القانونية التي تترسخ خارجيا في قالب مقدس لكن لا يستطيع كل وعي إجتماعي أن يكون ماديا و خارجيا.[1]

كما أن كل الأخلاقيات ليس بمقدرتها جميعا أن تصاغ في قواعد واضحة ،فالجانب الأعظم منها يكون مشتتا فالأخيرة أي : القواعد تعبر فحسب عن حياة دنيا كاملة تشارك فيها، وهي نابعة منها لكنها لا تضيف لها شيئا و إنه لمن وراء كل تلك القواعد العامة تقف المشاعر الفعلية و الحية ،التي يتم تلخيصها في صيغ لكن وكأنها مغلقة بغلاف سطحي و لن يكون للصيغة من صدى مالم تكن ملائمة للمشاعر المحددة و الإنطباعات المتناثرة عبر المجتمع .

[1] جينفر م ليمان، المرجع السابق ، ص 75

ولو خلع عليها طابع الواقعية فلن نكون في حلم إن إفترضنا على أنها كل الواقع الأخلاقي وهذا أشبه بخلع شفرة على شيء مشفر فالعلامة هي بالتأكيد شيء وليست شيئا زائدا ..... بل هي علامة فحسب.[1]

لذلك فإن دوركايم ليس مثاليا وهو الذي لاقى هجوما بسبب نزعته المادية المتشددة التي يضيفها على الحقائق الإجتماعية، إذ يرفض أن يرى الواقع الذهني والأخلاقي واقعا مطلقا، أي أن يفترض فيه تجذره في واقع أخر غير الواقع الطبيعي حيث يرسخ أركانه في وحدة جمعية هي المجتمع يدعى طابعها الواقعي والطبيعي، لكن ما إن ينشأ الوعي الجمعي وصوره الذهنية حتى يصبح إلى حد ما مستقلين بل وفي الوعي الجمعي فإن ماهو أكثر مثالية يحدد حدود ماهو أكثر مثالية يحدد حدود ماهو أكثر مادية ،فالحكم فيه للفكر كذلك فإن العقل الجمعي بشقيه الذهني والأخلاقي* و روح* ومادة الأخلاق العامة هو المحدد الإجتماعي عند دور كايم لفكر الفرد وسلوكه، غير أن دوركايم كان على وعي بحقيقة موقفه المثالي حيث يكتب مايلي فليس سوى قاسم واحد للطبيعة حيث نطبق المثالية بحذافيرها : إنه المملكة الإجتماعية ففيها و ليس سواها تعتبر الفكرة هي الواقع .... وفيها يصل طرف المادة إلى أدنى درجة .[2]

[1] جينفر م ليمان، المرجع السابق ، ص 76

* كل ماله صلة بالأخلاق كالضمير أو الحكم الأخلاقي، ويقابله اللاأخلاقي،إبرهيم مذكور ، المرجع السابق،ص 5

* تسمى الذهن أيضا ،وهو قدرة معدة لاكتساب العلم ، يقول الجرجاني : ((الذهن هو الاستعداد التام لإدراك العلوم والمعارف بالفكر))،المرجع نفسه،ص 93

[2] جينيفر م ليمان ، المرجع السابق ، ص 76

ومن هنا ، نخلص أن الضمير الجمعي في وجوده يعتمد على الأحاسيس و العواطف و المعتقدات الموجودة في الضمير الفردي ، وبالتالي أوضح دور كايم أن هناك إرتباطا ذا تأثير متبادل بين الضمير الجمعي و الأفكار الإجتماعية في الواقع الإجتماعي نتيجة الضغوط التي يمارسها الضمير الجمعي على أعضائه .

ثانيا : التنشئة الأخلاقية

لقد ترك دوركايم مخطوطا كاملا يتضمن ثماني عشرة محاضرة حول التربية الأخلاقية في المدرسة الإبتدائية، و سنقدم فيما يلي صورة عامة لهذه المحاضرات تتضمن المحاضرة الأولى مقدمة حول الأخلاق العلمانية وتعريفا بالمهمة الأخلاقية، التي يقوم بها المعلمون الفرنسيون المعاصرون وهي بالنسبة لدور كايم تربية أخلاقية علمانية عقلانية ،ومثل هذه النزعة العلمانية أمر يقتضيه منطق التطور التاريخي في فرنسا، ومع ذلك فإنها مهمة صعبة ومعقدة جدا وذلك لأن الدين والأخلاق كانا عبر التاريخ والحضارة يشكلان وحدة عميقة ومتكاملة .[1]

ويترتب على ذلك صعوبة كبيرة في الفصل الضروري بينهما ،وعندما نسعى إلى إفراغ الأخلاق من مضمونها الديني، فإننا يعمل على تشويهها و ذلك لأن الدين يعبر بطريقته الخاصة وفي إطار لغة رمزية عن أشياء حقيقية .[2]

[1] إيميل دوركايم ، **التربية والمجتمع** ، تر: علي أسعد وطفة ،(ط5 ، دمشق ، دار معد للطباعة والنشر ، 1996) ص 33

[2] المصدر نفسه ، ص 33

ولا يجب أن نهدر هذه الحقائق في أطرها الرمزية بل يتوجب علينا المحافظة عليها في سياق علماني .

فالأنظمة العقلانية وخاصة الأنظمة غير الميتافزيقية ،تقدم صورة مبسطة عن الأخلاق وعندما ندرس هذه الأخلاق على المستوى السوسيولوجي يمكن لنا إستجلاء العمق العقلاني للأخلاق، الذي ينفصل عن الدين والميتافزياء وهي أخلاق علمانية في غاية التعقيد تتصف بالغنى وذلك في إطار علاقتها مع الأخلاق الدينية التقليدية ،وخاصة عندما يتم التوجه نحو المصادر الأساسية التي تضفي على هذه الأخلاق سماتها الحيوية .[1]

ويمكن تصنيف المحاضرات اللاحقة لدوركايم في مجموعتين متمايزتين، وهي تجسد إلى حد ما الإسهام الذي يقدمه علم الإجتماع لعلم التربية من جهة و المعطيات التي يقدمها علم الإجتماع إلى علم النفس من جهة أخرى، و يركز المحور الأول لهذه المحاضرات على دراسة الأخلاق بحد ذاتها و خاصة الثقافة الأخلاقية التي تنقلها التربية إلى الأطفال ، وفق إتجاهات التحليل السوسيولوجي أما الجانب الثاني فإنه يتمحور حول دراسة طبيعة الطفل الذي يستبطن النظام الأخلاقي القائم وهنا يلعب علم النفس دورا أكثر أهمية ، وتعد المقالة الثانية التي كرسها دوركايم لدراسة الأخلاق من أكثر أعماله نضجا وتكاملا في هذا المجال وقد إستطاعت يد الموت أن تخطف دوركايم، في الوقت الذي كان يحرر فيه مقدماته المعدة للنشر حول الأخلاق وهي تتجانس مع أفكاره التي ظهرت في أعماله حول مذكراته في فلسفة المجتمع الفرنسي، وذلك في الفصل الخاص الذي كرسه لتحديد الظاهرة الأخلاقية وهنا لم

[1] إيميل دوركايم ، المصدر السابق ،ص 33

يتح له أن يعالج مختلف الإتجاهات الأخلاقية ، حيث إقتصرت دراسته على تحديد السمات العامة للأخلاق .[1]

فدور التربية الأخلاقية عند إيميل دوركايم يتمثل في إعداد الطفل لممارسة واجباته وتطوير بعض سماته الخاصة واحدة تلو الأخرى ،ولكن هذه التربية تسعى أيضا إلى تنمية الإستعدادات العامة للبنية الأخلاقية والوضعيات الأساسية الكامنة في أصل الحياة الأخلاقية ثم إلى إعداد النظام الداخلي الأخلاقي، الذي يهيء الطفل للمبادرات الأخلاقية و التي تشكل الشرط الأساسي للتطور.[2]

والسؤال المطروح هنا هو ما عناصر البنية الأخلاقية في فرنسا المعاصرة، والتي يشكل تحقيقها هدف التربية الأخلاقية على وجه العموم؟ وهل يمكن وصف هذه العناصر وفهم طبيعتها وتحديد دورها ؟و بالتالي فإن هذا الوصف يشكل محتوى الأخلاق التي توصف بأنها نظرية ،وفي هذا الصدد فإن كل فلسفة تسعى إلى تحديد هذه العناصر الأساسية بطريقتها الخاصة ،ولكنها وفي إطار ذلك تعمل على بناء هذه العناصر أكثر من وصفها ويمكن أن نفعل الشيء نفسه ليس فيما يتعلق بنموذجنا الشخصي، وإنما فيما يتعلق بالنموذج الأخلاقي المثالي لثقافتنا ،إن دراسة التربية الأخلاقية لتسمح لنا في واقع الأمر إدراك الحقائق التي تتوافق مع المفاهيم المجردة التي يعالجها الفلاسفة، ومثل هذه الدراسة الخاصة بالتربية الأخلاقية تتيح لعلم الأخلاق أن يصل إلى مستوى القدرة على ملاحظة ماهية

[1] اميل دوركايم، المصدر السابق، ص 34

[2] المصدر نفسه ، ص 35

الظواهر الأخلاقية في إطار سماتها الأكثر عمومية لأنه يمكن لنا في إطار التربية أن نلاحظ الجانب الأخلاقي، في اللحظة التي يتم فيها تحويله ونقله وفي اللحظة الذي يتمايز فيه بوضوح عن الوعي الفردي ،وذلك في إطار التعقيد الذي يغلفه ويصنف دور كايم هذه العناصر الأساسية للظاهرة الأخلاقية في ثلاثة مستويات أساسية : روح النظام وروح التضحية وروح الإستقلال، و لو بدلنا في هذا السياق من تحديد المخطط الأساسي الذي يرسمه دور كايم في تصنيفه لهذه المستويات الثلاثة الخاصة بالأخلاق .[1]

ويعالج دوركايم في الجانب الثاني من دروسه المسألة الخاصة بالتربية وهو في إطار ذلك يقوم بتحديد العناصر الأخلاقية التي نسعى إلى غرسها عند الأطفال ،والأسئلة التي يطرحها في هذا السياق تدور حول طبيعة الطفل وإمكانية تعلمه ثم حول مصادر التعلم والصعوبات التي تواجه المربين في عملهم التربوي ،ويكفي لعنوان محاضرته أن يحدد لنا طبيعة ما يسعى إليه دوركايم وخاصة في محاضرته (النظام المدرسي : الثواب والعقاب) ثم الإيثار عند الطفل وتأثير الوسط المدرسي على تكوين الحس الإجتماعي، وأخيرا التأثير العام للعلوم والأداب والتاريخ والأخلاق نفسها والثقافة الجمالية على بناء روح الإستقلال عند الأطفال .[2]

تؤكد التربية الأخلاقية اليوم على أهمية التعاليم الأخلاقية، فإن دور كايم يميز بوضوح بين أمرين متكاملين إذ يتوجب على المعلم في المرحلة الإبتدائية أن يضع الطفل في

[1] إيميل دوركايم ، المصدر نفسه ، ص 35

[2] المصدر نفسه ، ص 38

صورة المجتمع الذي يعيش فيه كالأسرة والتعاون والإنتماء القومي والإنتماء الثقافي الذي يجسد الوجود الإنساني برمته ويترتب على ذلك أن يعلم الطفل.[1]

كيف تشكلت هذه الظواهر؟ وكيف تحولت؟ وما الأثار التي تمارسها على الأفراد ؟ وما دور الذي يقوم به الفرد في إطارها ؟

ومن الجدير بالذكر في هذا الخصوص أنه لا يوجد لدينا سوى مسودة أو مخطط لدروس دور كايم في التعليم الأخلاقي في المرحلة الإبتدائية، ومع ذلك فإن دور كايم يبين للمعلمين الإمكانات المتاحة لوضع هذه

المعلومات في متناول الأطفال وخاصة هذه التعليمات التي أطلق عليها (فيزيولوجيا الحق والأخلاق) هذا وقد خصص دوركايم [2].

وعموما ، نخلص إلى أن الكثير من أعمال دوركايم عن التربية والتنشئة عامة يمكن رؤيتها على ضوء إهتمامه بالتأكل الأخلاقي والإصلاحات الممكنة لإيقاف إنتشاره ،فالتربية والتنشئة عرفت بواسطة دوركايم بأنها العمليات التي عن طريقها يتعلم الفرد أساليب مجموعة أو مجتمع ما وإكتسابه الأدوات المادية والفكرية وللتربية الأخلاقية، عنده ثلاثة جوانب مهمة أولا : هدفها هو مد الأفراد بالوسائل الضرورية تكبح النزوات التي تهدد بالإطباق عليهم وثانيا : تمد الأفراد بالإحساس بالإستقلال لكنه إستقلال خاص ومميز للطفل وثالثا : عملية التنشئة تهدف إلى تطوير الإحساس بالإخلاص للمجتمع ونسقه الأخلاقي وهذا وتعتبر

[1] اميل دوركايم، المصدر السابق ، ص 38

[2] المصدر نفسه ، ص 39

جوانب التنشئة الأخلاقية مجهودات للسيطرة على التحلل المرضي لقبضة الأخلاق الجمعية على الفرد في المجتمع الحديث ، أما على المستوى العام جدا كان دوركايم مهتما بالطرق التي تقيد بها الأخلاق العامة للناس خارجيا وداخليا ، فإن الأخلاق الإجتماعية توجد أساسا على المستوى الثقافي لكنها تستبطن بواسطة الفرد وكما قال دوركايم إن الأخلاق العامة تخترقها وتكون جزءا منا .

ثالثا :الواجب و الإلزام الخلقي

يذهب إيميل دوركايم إلى أن الواجب الأخلاقي يتسم بصفتين أساسيتين ،فهو طابع إلزامي كما أنه يعتبر في الوقت نفسه مرغوبا فيه كشئ خير أو طيب .

فالإنسان لا يستطيع أن يقوم بعمل ما فقط لأنه مطلوب منه فعله أو مأمور به بل إنه "من المستحيل نفسيا أن نسعى نحو تحقيق هدف نجد في نفوسنا فتورا تجاهه ،بحيث لا يبدو لنا خيرا أو طيبا أو لا يحرك فينا أي إحساس ،لذا فإن الواجب الأخلاقي ليس فقط شيئا ملزما وإنما هو أيضا شئ مرغوب فيه ، وكلتا الصفتين ترجعان إلى كون الواجب يستند إلى المجتمع كسلطة أخلاقية تتعالى على إرادات الأفراد، حيث إن القيم الأخلاقية تعد قيما حضارية وثقافية وكل من الحضارة و الثقافة يشكل نظاما إجتماعيا وتاريخيا يتجاوز الإرادة الفردية.

ومن حيث إن الأفراد يجدون أنفسهم قد خضعوا للتنشئة الإجتماعية ، كعملية تسهر على نقل القيم الحضارية و الثقافية القائمة في المجتمع ،الذي يكونون أعضاء فيه فإنهم يجدون أنفسهم وقد تلقوا في داخلهم تلك القيم على شكل معايير أخلاقية، تحدد ماهو خير وماهو واجب وعلى نحو يجعلهم يقومون بالواجب بدافع من الإلزام الذي تمثله سلطة المجتمع وبدافع من المرغوبية ، التي تميز القيم الأخلاقية كقيم تكون هوية الأفراد كأعضاء تتم تربيتهم ضمن ثقافة معينة.

ونجد دوركايم إستطاع بطريقة تحليله أن يصل إلى فكرة الواجب أوالإلزام الخلقي وذلك تقريبا حسب ما كان يفهم "كانط"* ، ولكن نظرية كانط وإن كانت صحيحة إلا أنها ليست كاملة لأنها لا تطلعنا إلا على أحد جوانب الحقيقة الخلقية ،وهو الجانب الخاص بفكرة الواجب أو الإلزام على حسب أننا من الوجهة النظرية ،لا تقوم بفعل ما لأننا أمرنا به فحسب إذا لابد أن يكون لهذا الأمر صدا في نفوسنا ونحن لا نسعى وراء غاية تثير في نفوسنا رغبة ولا تؤثر في نفوسنا ، وعلى ذلك يجب بجانب صفة الإلزام أن تكون الغاية الخلقية، مرغوبا فيها وصفة القابلية للرغبة أو جذب الفعل الخلقي لحواسنا وشعورنا هي الصفة الثانية للظاهرة الخلقية ،في نظر "دوركايم" وهذه الصفة هي أساس كل ميل نحو فعل الخير كما أنها أساس التعلق بالمجتمع[1].

والرغبة المتعلقة بالحياة الخلقية ترتبط إرتباطا وثيقا بصفة الإلزام ،وهي لا تثبت في شئ ما الرغبة المتعلقة بالأشياء المادية ، فإندفاعنا وتعلقنا بالفعل الخلقي يصاحبه دائما شئ من الجهد والعناء ،وحتى إذ قمنا بالفعل الخلقي في حرارة و حماس فإننا نتحكم في أنفسنا وأننا نعلو فوق طبيعتنا المادية وفي ذلك علامة على القهر والإلزام.

و تتضمن فكرة الإلزام والقهر الأخلاقي الطاعة ،ولكن كيف نوفق بين الإلزام والإرادة يجيب دوركايم بأن هناك نوعين من الطاعة ، طاعة سلبية عمياء وهي أن ننقاد

* كانط فيلسوف ألماني (1724-1804) وضع قواعد المثالية الألمانية أما جوهر أعماله فقد شكلته كتبه النقدية نقد العقل المحض ، نقد العقل العملي ، ثم نقد ملكة الحكم ...الخ ، كرستوفروانت وأندزجي كليموفسكي ،**أقدم لك كانط** تر: إمام عبد الفتاح إمام، (ط1 ،القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة، 2002) ص10.

[1] عبد الوهاب جعفر ،**فلسفة الأخلاق و القيم** ،(دط ، الإسكندارية ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ،2013) ص 121.

في جهل ودون علم سابق و طاعة إيجابية ،وهي أن ننقاد في حرية وفي علم تام بسببها وهنا تكون إرادتنا حرة و تصبح مصدرا وحيدا لأفعالنا الخلقية ، وهكذا حل دوركايم مسألة التعارض القائم بين الإلزام والإرادة ، وقدم حلا إجتماعيا لفكرة إستقلال الإرادة في الأخلاق.

والواجب عند دوركايم نسبي فهو يختلف بإختلاف الشعوب و الحضارات ، حيث أن الحقيقة في الشمال قد تكون باطلا وظلالا لدى شعوب الجنوب .

و الواجب عند دوركايم منتظم فهو يتكرر دائما كما هو و بإطراد وتجانس تام و الواجبات ، لا تؤدي لأسلوب المباغتة وإنما يكررها المجرى الطبيعي للحياة في فترات دورية منتظمة، إذن فتنظيم السلوك وبث روح النظام وظيفة أساسية من وظائف الأخلاق[1].

أما صفة الإلزام* و القهر التي تتميز بها الظاهرة الأخلاقية، فإنها تفقد الإنسان حريته وكرامته فالإنسان ليس مجرد أداة يحركها الكل الجمعي ، وإنما هو كائن مثقف بتراث ثقافي ويحمل في طياته كل خصائص الجماعة وثقافتها ، كذلك فإن صفة الإلزام والقهر التي تتمتع بها الظاهرة الأخلاقية، ليست قاصرة على الظواهر الأخلاقية فالأوامر

[1] محمود حمدي زقزوق **،مقدمة في علم الأخلاق** ،(ط2 ،الكويت، دار القلم ،1980) ص 195.

* ألزمه المال والعمل ،أو بالمال والعمل : أوجبه عليه ،ويقال: ألزمت خصمي أي حججته وللإلزام في اصطلاح الفلاسفة معنيان :الإلزام هو الرابطة الحقوقية التي يكون فعل الشئ ،أو عدم فعله ،واجبا على الشخص تجاه الأخر فهوإذن علاقة حقوقية لشخصين يسمى أحدهما بموجبها دائنا والأخر مدينا،جميل صليبا، المرجع السابق ،ص120

والنواهي ذات الطابع الطوطمي أو الديني، هي أيظا ملزمة بل وقد تكون إلزاما في نظر الإنسان البدائي بل هناك من الفلاسفة من أسس مذهبا أخلاقيا بدون إلزام ولا جزاء [1].

ففكرة السعادة حين تقوم بعمل خلقي، وفكرة الإلزام تتداخل كل منها في الأخرى ونحن نجد لذة في أداء عمل خلقي تأمرنا به القواعد الخلقية ، ومصدر اللذة هو الخضوع لذلك الأمر ونشعر بسرور من نوع خاص حين نؤدي واجبنا لا لشئ إلا أنه الواجب*.

فالواجب إذن أو الأمر الحتمي حسب تعبير كانط ليس إلا مظهر أو جانبا من الحقيقة الخلقية، والواقع أن الحقيقة الخلقية تتألف دائما وفي ان واحد من هذين العنصرين : عنصر الإلزام وعنصر الرغبة التي تجذب المرء إلى الفعل الخلقي ، فليس هناك عمل تقوم به عن طريق الواجب البحت بل يجب أن يظهر هذا العمل أمام أعيننا وفي ضميرنا عملا طيبا ، وبالعكس إذا قمنا بعمل نراه طيبا ومرغوبا فإن هذه الرغبة يصحبها دائما مجهود وطاقة ترتفع بأنفسنا عن المستوى العادي.[2]

ونستطيع إذن أن نقول أن الظاهرة الأخلاقية ، في نظر دوركايم تتميز بخاصيتين أساسيتين : الأولى أنها تلزم الفرد لأنها تنبعث من قوة عليا هي قوة المجتمع ن والثانية أنها

---

[1] حسين عبد الحميد أحمد رشوان ، **علم الإجتماع الأخلاقي** ،(دط ، الإسكندارية، المكتب العربي الحديث ،2002) ص 198.

* ما تقتضي ذاته وجوده إقتضاء تاما ،أوما يستغني في وجوده الفعلي عن غيره ، وهو مرادف للضروري ، ألاأنه يطلق في بعض الأحيان على ماهو أخص من الضروري كما في قول ابن سينا :أن الواجب والممتنع متفقان((في معنى الضرورة ،فذاك ضروري في الوجود وذاضروري في العدم)) ،جميل صليبا، المرجع السابق،ج2، ص541

[2] عبد الوهاب جعفر ، **مذكرة في فلسفة الأخلاق** ،(دط ،الإسكندارية ، (دن) 1991) ص 176.

تجذب الفرد لأنها تصور له المثل الأعلى الذي يتوق إلى تحقيقه ، فقواعد الأخلاق تفرض على الأفراد داخل نطاق مجتمع معين وهم مجبرون.

على الإلتزام بهذا القواعد حتى ولو لم ترف لهم أو لم تنشأ هذه القواعد لتنظيم علاقات الأفراد دون النظر إلى أهوائهم الشخصية ، ولا يستطيع الفرد الإنحراف عن القواعد التي رسمها له المجتمع إلا في الحالات الشاذة وهذا الإنحراف من شأنه أن يخدش ضمير المجتمع [1].

ولذا فإن المجتمع يدرك ما قد يلحق به من ضرر عن طريق الجزاءات الإجتماعية المختلفة ، التي تتدرج من التأنيب وإستهجان الرأي العام إلى العقوبة إلى المقاطعة إلى النفي السياسي أو الحرمان الديني، وفشل هذه الإجراءات توضح أن من لا يوقع لأوامر المجتمع ينبذ من المجتمع وتقطع الصلات التي تربطه بالأفراد الأخرين ومجموعة التصورات الجمعية ، وهي التي نتجت عن تبلور العادات والتقاليد و المعتقدات .....الخ.

هي التي تحدد ضمير المجتمع وهذا الضمير الجمعي، هو الذي يتردد أو ينعكس في ضمير الفرد فالمجتمع هو الذي يملي علينا بطريقة تفكيرنا وطريقة تصرفنا ، وإذا

[1] عبد الوهاب جعفر ، المرجع السابق، ص177.

كانت لنا مثل عليا فإنها ناتجة عن رغبتنا في إرضاء المجتمع ، أما وخز الضمير الذي نتعرض له أحيانا فإنها نتيجة ما نقدم عليه من الخروج على القواعد التي رسمها المجتمع.[1]

وعموما ،في الأخير نستنتج أنه إذا كانت الإنسانية قد مالت إلى تفسير صوت الواجب الذي يتردد بداخل الفرد تفسيرا أسطوريا ،فإن صوت الواجب والضمير عند دوركايم ليست شيئا أخر غير صوت المجتمع الذي هو كائن معنوي يتجاوز الأفراد و يؤثر فيهم ويحي داخل ذواتهم.

إن المجتمع بهذا المعنى هو جزء لا يتجزء من الذوات الفردية ، التي لا تستطيع أبدا الإنفصال عنه فهو الذي بث فيها تلك المشاعر والمعايير ، التي تمنح بالضرورة لقواعد السلوك الفردي صفة الإكراه المميزة للإلزام الأخلاقي* ،كما تحدد لها واجباتها الأخلاقية (أي ما يجب فعله أو ما يجب تجنبه) .

المبحث الثالث:مقاربة نقدية

يعتبر إيميل دوركايم المهندس الأساسي للمدرسة الإجتماعية ،في الأخلاق والقيم لأنه جعل الغاية القصوى للنشاط الأخلاقي أو لكل عمل أخلاقي هو المجتمع ،وهذا ما حدى ببعض النقاد إلى وضع مذهب إيميل دوركايم في عداد المذاهب الفلسفية أو مذاهب

[1] عبد الوهاب جعفر،المرجع السابق،ص 178.

* وهو لاينشأ عن عقد ، بل ينشأ عن طبيعة الإنسان من حيث هو قادر على الاختبار بين الخير والشر ،فما كان فعله أو عدم فعله ممكنا من الناحية الخلقية ، كان إلزاميا بمعنى أن الشخص لا يستطيع ان يتهاون في فعله ، أو عدم فعله من دون أن يعرض نفسه للخطأ واللوم ،والإلزام الأخلاقي فهو ضرورة متعالية ذات نظام مثالي ،أعلى من نظام الحوداث ، يفرضه العقل على الطبيعة ، ويوجب على الإنسان تحقيقه وأن كان غير موجود بالفعل ،جميل صليبا ، المرجع السابق ،ص 121

الأخلاق الميتافزيقية ، على حد تعبير ليفي برول* وقد عاب هؤلاء النقاد على دوركايم أنه أراد كما فعل فلاسفة الأخلاق أن يعرف ويفرض في ان واحد.

وهذا الموقف لا يتفق مع موقف العلماء الذين يجب أن يتجهوا إلى المعرفة فقط دون النظر إلى تحديد الغايات ، ولذلك فإن جورفيتش **في كتابه "الإتجاهات المعاصرة في علم الإجتماع" يتردد في أن ينعت هذا المذهب ، بأنه مذهب وسط بين المذهب الإجتماعي و المذهب الميتافزيقي[1] .

وإذا كان دوركايم قد جعل حل المشكلة الأخلاقية ، المركز الذي دارت حوله كل أبحاثه الإجتماعية فإنه قد وصل في دراسة المشكلة الأخلاقية نفسها وهي التي من أجلها قام بأبحاثه العديدة المبتكرة في علم الإجتماع ، ولهذا السبب فإن جورفيتش يشبه دوركايم بكرستوف كولومبس الذي أراد أن يبحث عن طريق الهند فأدى ألي إكتشاف أمريكا.

ونحن مع إعترافنا بقيمة هذا النقد ، لا نستطيع أن ننكر ما قام به دوركايم من مجهود علمي في الكشف عن الحقيقة الأخلاقية ، بطريقة موضوعية وقد عنى بتوضيح غرضه منذ أن بدأ في كتابة مقدمة كتابه الأول وهو "تقسيم العمل الإجتماعي " ،حيث

* فيلسوف فرنسي (1857-1939) إهتم في المقام الأول بالمسائل المتعلقة بالأخلاق والتاريخ والفلسفة وتأثر بإميل دوركايم ، إبراهيم التلوع، **الأسس النظرية للسلوك الأخلاقي** ،(دط ،بنغازي ، دار الكتب الوطنية ،1995)ص 281.

** فيلسوف روسي (1894-1965) من منظري علم الإجتماع الفلسفي أو الفلاسفة الإجتماعيين من مؤلفاته مقالات في علم الإجتماع 1939 الذي أعيد نشره تحت إسم دور علم الإجتماع 1950 وكتابه الحتمية الإجتماعية والحرية البشرية 1955 وكتابه الجدل وعلم الإجتماع 1962 وطيف الزمان الإجتماعي 1965،محمد شهاب ، **رواد علم الإجتماع**،(دط، الإسكندارية،مركز الإسكندرية للإبداع الفني،(دس)) ص

[1] عبد الوهاب جعفر ،**فلسفة الأخلاق والقيم** ،(دط ،الإسكندراية،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ،2013)ص126.

قال أنه سيساهم بكتابة هذا في معالجة ظواهر الحياة الأخلاقية وفقا للطريقة المتبعة في العلوم الوضعية.

وكتب في موضوع أخر من الكتاب نفسه :لنبدأ في ملاحظة الأخلاق كظواهر واقعية ولننظر ماذا نستطيع أن نعرف عنها في الوقت الحاضر، ولم ينحرف "دوركايم" عن هذا العرض حيث ذكر في كتابه " التربية الأخلاقية" أن دراسة الظواهر الأخلاقية ،تحتم وجود علم موضوعي يبحث عن الحقيقة الأخلاقية ليعرفها.[1]

إذا كان دوركايم قد ربط في النهاية فكرة المثال الأعلى الأخلاقي بفكرة المجتمع فما ذلك إلا لإقتناعه بأن أبحاثه الإجتماعية، يجب أن تؤدي في النهاية إلى الغاية الطبيعية لها وهي النهوض بالمجتمع على أسس علمية.[2]

ولقد أدرك دوركايم أن الإلزام الخلقي، يجب أن يستند إلى شئ يبرره ولما كان قد أبعد فكرة الله لإقتناعه كأوغست كونت* بأن الفلسفة الاهوتية قدإنقضى زمنها، فإنه قد إستعاض عن هذه الفكرة بديانة الجماعة أو المجتمع أو بإتخاذ المجتمع غاية عليا للنشاط الإنساني، فالمصدر المقدس لكل القيم في نظره هو المجتمع وهو حقيقة تسمو على الأفراد لأنها تستطيع مالا يستطيع الأفراد أي أن المجتمع حقيقة إنسانية .

---

[1] عبد الوهاب جعفر،المرجع السابق،ص127.

[2] المرجع نفسه، ص127.

* أوغست كونت (1857-1898) فيلسوف فرنسي أرسى في كتابه محاضرات في الفلسفة الوضعية النظام الوضعي الذي يهدف إلى إيجاد حل لمسألة التطور ولبنية المجتمع ولوظيفتها فيه وأطلق كونت كذلك قواعد علم الإجتماع الذي أطلق عليه إسم الفيزياء الإجتماعية ، بيتركونزمان وأخرون، **أطلس DTV الفلسفة** ، تر :جورج كتورة ،(ط1 ،بيروت، المكتبةالشرقية،1991)ص165.

ويكفينا التدليل على ذلك أن نقول عبارته الشهيرة : وهي أن أبحاثنالا تستحق ساعة واحدة من العناء إذا كان الغرض منها هو الإقتصار على الناحية الجدلية.[1]

لقد إهتم إيميل دوركايم بدراسة المجتمع ككل ،وأهمل دراسة الجماعات الفرعية وهي الأجزاء التي يتكون منها الكل كما أنه تجاهل الفرد ومطالبه ،لأنه إلتفت فقط إلى المجتمع وحاجاته وهو لم يدرك أهمية التغير الإجتماعي لأنه إنشغل بالنظام الإجتماعي والتوازن .[2]

ويعتقد لويس كوزر أن معظم الإنتقادات التي وجهت إلى دوركايم ، ترجع في الواقع إلى نزعته المحافظة ويقصد بها تأثره بظروف عصره وبالمناخ الإجتماعي والسياسي والثقافي ، الذي كان سائدا في فرنسا في ذلك الوقت ويرى كوزر أن هذه النزعة المحافظة ، قد أدت به إلى إهمال مجموعة من الفروض كما جعلته غير قادر على أن يحسب حسابا لمجموعة متنوعة من الوقائع الإجتماعية، فلقد كتب دوركايم خلال فترة تفكك إجتماعي وكان مرتبطا إرتباطا قويا بالمجتمع الجديد ، ولذلك شعر بأن وظيفته الأساسية أن يسهم في نمو نظام أخلاقي فرنسي جمهوري جديد.[3]

إن دوركايم قدتحمس أكثر من اللازم لسوسيولوجيته، الأمر الذي أدى به إلى تجاهل مجموعة كبيرة من العوامل تؤثر على الظواهر الإجتماعية ،و تتأثر بها لكن هذه الإنتقادات

[1] عبد الوهاب جعفر ،**مذكرة في فلسفة الأخلاق**،(دط ،الإسكندراية،(دن) 1991) ص183.
[2] محمدعلي محمد،**المفكرون الإجتماعيون** ،(دط، بيروت ، دار النهضة العربية ،1983)ص136.
[3] المرجع نفسه،ص137.

السابقة لايجب أن تقلل من أهمية دوركايم في تاريخ الفكر الإجتماعي والنظرية السوسيولوجية .[1]

إن الأخلاق التي نادى بها الإجتماعيون مغلقة ، على حد تعبير هنري برغسون لأنها لا تخرج عن إطار المجتمع الواحد ،وفي نفس الوقت نجد الأخلاق المفتوحة وهي ليست وليدة الإكراه الإجتماعي ويجسدها المصلحون الإجتماعيون والعلماء ورجال الدين الذين يضعون الضمير على أساس الوعي الأخلاقي لاعلى أساس التقيد والإتباع .

كما أن الأخلاق ليست مجرد ظواهر بل هي قيم ، كما أن التفسير الإجتماعي ينظر إلى جميع الخلاق على أنها وسائل لاغايات، وهذا التعارض مع جوهر الأخلاق التي وجدت أساسا لترتفع بالإنسان كي يتحقق كماله البشري .

لقد بالغ إميل دوركايم في تقدير المجتمع ،والإعلاء من شأنه و كان ذلك على حساب التقليل من أهمية الفرد ودوره في بناء الأخلاق ،مع أن الملاحظة التاريخية تؤكد أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والزعماء والمصلحين كانوا منابع حرية لقيم أخلاقية جديدة ساعدت المجتمعات على التطور والتقدم .

[1] محمد علي محمد ،المرجع السابق،ص 140.

خاتمة

خاتمة:

من خلال عرضنا السابق حول مفهوم الأخلاق لدى إيميل دور كايم إهتدينا في نهاية بحثنا هذا إلى مجموعة من النتائج التي سنحاول حصرها في النقاط التالية :

– لقد حمل فكر إيميل دوركايم في فلسفته الأخلاقية مبادئ تنويرية تعلي من شأن الإنسان ككائن أخلاقي فهو لا يعتبر الأخلاق قيم إلا إذا حملت أبعاد إنسانية .

– وكذلك في إقامته للمذهب الأخلاقي جعل القيم الأخلاقية ومثلها العليا كالظواهر الإجتماعية وليدة المجتمع الناشئة عن إجتماع الناس بعضهم البعض .

– ومن النتائج التي توصلنا إليها من بحثنا هذا أن الأخلاق كانت متأرجحة بين النسبية والمطلقية وذلك من منطلق أن كل فيلسوف هو وليد بيئته الإجتماعية والأخلاقية وهنا يمكننا القول بأن الأخلاق عند إيميل دوركايم نسبية نابعة من المجتمع ،أي أنها كانت تبحث عن سعادة الإنسان أو محاولة الوصول إلى الخير الأسمى الذي تتوق إليه كل الشعوب .

– ولقد كان كتاب إيميل دوركايم " التربية الخلقية " من أهم كتبه على الإطلاق الذي يحتل الصدارة من بين مؤلفاته وذلك من خلال القول بأن الأخلاق ليست عنصرا أو جزءا من فلسفته بل فلسفته كلها أخلاقية في مبادئها وأسسها وفي أبعادها ومساعيها.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر:

1- إيميل دوركايم ،**التربيـة الخلقيـة** ،تر: السيد محمد بدوي ، ط1،القاهرة، المركز القومي للترجمة ،2015.

2- إيميل دوركايم ،**التربية والمجتمع** ،تر: علي أسعد وطفة ، ط5،دمشق، دار معد للطباعة والنشر ،1996.

قائمة المراجع:

3- إبـراهيم التلـوج،**الأسـس النظريـة للسـلوك الأخلاقـي** ،دط، بنغـازي،دار الكتـب الوطنية ، 1995.

4- بيتركونزمـان وأخـرون،**أطلـسDTV الفلسـفة**،تـر: جـورج كتـورة،ط1،بيـروت، المكتبة الشرقية،1991.

5- جينفرم ليمان، **تفكيك دوركايم نقد مابعد بعد بنيوي**،تر: محمود أحمد عبد الله،ط1،القاهرة،المركز القومي للترجمة ،2013.

6- حسين عبد الحميد أحمد رشوان،**علـم الإجتمـاع الأخلاقـي**،دط،الإسكندرية، المكتب العربي الحديث،2002.

7- رأفت الشيخ ، **تفسير مسار التاريخ** ،ط1،مصر،عين للدراسات 2000.

8- سمير بلكفيف وأخرون،**الفلسفة الأخلاقية من سؤال المعنى إلى مأزق**، ط1،الرباط ،دار الألمان ،2013 .

9- السيد محمد بدوي ،**الأخلاق بين الفلسفة وعلم الإجتماع** ، دط ،الإسكندرية ،دار المعرفة الجامعية ،2000.

10- عبد الوهاب جعفر ،**فلسفة الأخلاق والقيم**، دط، الإسكندرية ،دار الوفاء، دس.

11- عبد الوهاب جعفر ،**مذكرة في فلسفة الأخلاق**،دط،الإسكندرية،دن،1991.

12- فايز فارس، **الأخلاق المسيحية** ،ط1،القاهرة ،دار الثقافة ،1992.

13- كرستوفروانت وأندزجي كليموفسكي، **أقدم لك كانط** ، تر: إمام عبد الفتاح إمام،ط1،القاهرة،المجلس الأعلى للثقافة،2002.

14- ماجد فخري ، **أرسطوطاليس المعلم الأول**، دط، بيروت ،الطبعة الكاثوليكية.

15- محمد الجبر ،**الفكر الفلسفي والأخلاقي عند اليونان**، ط1، دمشق، الخبير لتصميم الطباعي ، 1994.

16- محمد شهاب،**رواد علم الإجتماع** ،دط،الإسكندرية،مركز الإسكندرية للإبداع الفني،دس.

17- محمد علي محمد،**المفكرون الإجتماعيون**،دط،بيروت،دار العربية،1983.

18- محمد مهران رشوان ،**تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية**،دط، القاهرة،دار قباء،1998.

19- محمـود حمـدي زقـزوق، **مقدمـــة فـــي علـــم الأخـــلاق** ،ط2، الكويـت،دار القلم،1980.

20- يوسف كرم ،**تاريخ الفلسفة الحديثة** ،دط، القاهرة ،دار المعارف ، دس.

قائمة المعاجم و الموسوعات:

21- إبـراهيم مـذكور، **المعجـم الفلســفي** ،دط،القـاهرة، الهيئـة الأميريـة للمطـابع، 1983.

22- أندريـــه لالانـــد، **الموســـــوعة الفلســـــفية**، تـــر: خليـــل أحمـــد خليـــل ،ط2،باريس،منشورات عويدات ،2001.

23- جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، دط، لبنان ، دار الكتاب اللبناني، 1982.

24- جورج طربيشي،**معجم الفلاسفة**،ط1،بيروت،دار الطليعة،2006.

25- روزنتـال يـودين،**الموســوعة الفلســفية**،تـر: سـمير كـرم،ط1،بيـروت،دار الطليعة،1997.

26- زكي نجيب محمود، **الموسوعة الفلسفية المختصرة**، دط،لبنان،دار القلم ،دس.

27- محمد أحمد منصور ،**موسوعة أعلام الفلاسفة**،ط1،الأردن،دار أسامة،2001.

قائمة الرسائل الجامعية:

28- الطاهر مولف، **العقل الوضعي عند أوغست كونت**، بحث لنيل درجة الماجستير في الفلسفة ،غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم الفلسفة ، جامعة منتوري قسنطينة،2008.

ملخص:

تتناول الدراسة رؤية حول الأخلاق الإجتماعية، حيث تنطلق من دراسة مفهوم الأخلاق ونشأتها ومراحلها عبر العصور، ثم تتركز الدراسة على الفيلسوف إيميل دوركايم وموقفه من الأخلاق ،فأهم صفات الأخلاق عند دوركايم الواجب أو الخير من حيث أنه نظام وقاعدة للسلوك الإجتماعي، ومن حيث أنه يضع للسلوك الإنساني غاية خيرة ويجذب إرادة الناس إلى عمل الخيرات، وهذه الواجبات وضعها المجتمع لتحقيق الخير لنفسه، ومن هذا يؤكد بأن كل مجتمع يتميز بنظام من القيم الأخلاقية وهذا النظام يتجلى في سلوك الأفراد في حياتهم اليومية، فالمجتمع بهذا المعنى قيمة متعالية.

الكلمات المفتاحية: اميل دوركايم، الأخلاق الاجتماعية، الضمير الجمعي ، المجتمع

Rèsumè :

L'étude porte sur la vison de la morale sociale, procède ainsi de l'étude de la notion de la notion de la moralité et de ses étapes à travers les âges, ensuite l'étude se concentre sur le philosophe (Emil, Dukheim) des qualités et éthiques et réussies de la moralité, des qualités éthiques et réussies de la moralité de la moralité de la compréhension lorsque (Emile) ou bonté dans ce système et une base pour comportement social, et lorsqu'il met les gens très charitable des comportements humain travail mieux fera bon, le rut pour bonne communauté de droits pour lui-même, et cela confirme que chaque séance mettant en vedette un système de valeurs et ce système a sur le comportement des individus dans leur vie quotidienne la société dans cette valeur transcendante de sans.